التربيع والتدوير

للعلامة

عمرو بن بحر الجاحظ

(وفى آخره فهرستان أحدهما لتفسير الالفاظ اللغوية والثانى لاسماء الاعلام)

بقلم

محمد بجربتى المؤيد

« الطبعة الاولى »

بسم الله الرحمن الرحيم

قال عمرو بن بحر الجاحظ : كان أحمد بن عبد الوهاب مفرط القصر ويدعي انه مفرط الطول وكان مربعاً وتحسبه لسعة جفرته واستفاضة خاصرته مدورا وكان جعد الاطراف قصير الاصابع وهو في ذلك يدعى السباطة والرشاقة وانه عنيق الوجه اخمص البطن معتدل القامة تام العظم وكان طويل الظهر قصير عظم الفخذ وهو مع قصر عظم ساقه يدعي انه طويل البادّ رفيع العماد عادىّ القامة عظيم الهامة قد أعطي البسطة في الجسم والسعة في العلم وكان كبير السن متقادم الميلاد وهو يدعى انه معتدل الشباب حديث الميلاد وكان ادعاؤه لاصناف العلم على قدر جهله بها وتكلفه للابانة عنها على قدر غباوته فيها

وكان كثير الاعتراض لهجا بالمراء شديد الخلاف كلفا بالمجاذبة متتايعا في العنود موثرا للمغالبة مع اضلال الحجة والجهل بموضع الشبهة والخطرفة عند قصر الزاد والمجز عند التوقف والحاكمة مع الجهل بثمرة المراء ومغبة فساد القلوب ونكد الخلاف وما في الخوض من اللغو الداعي الى السهو وما في المعاندة من الاثم الداعي الى النار وما في المجاذبة من النكد وما في التغالب من فقد ان الصواب وكان قبل السماع غمرا وصحفيا غفلا لا ينطق عن فكر وثيق بأول خاطر ولا يفصل بين اعتزام الغمر واستبصارا لمحق يعد اسماء الكتب ولا يفهم معانيها ويحسد العلماء من غير ان يتعلق فيهم بسبب وليس في يده من جميع الآداب الا الانتحال لاسم الادب فلما طال اصطبارنا حتى بلغ المجهود منا وكدنا نعتاد مذهبه ونألف سبيله رأيت ان اكشف قناعه وابدى صفحته للحاضر والبادى وسكان كل ثغر وكل مصر بان اسئله عن مائة مسئلة اهزأ فيها واعرف الناس مقدار جهله وليسئله عنها كل من كان في مكة ليكفوا عنا من غربه وليردوه بذلك الى ما هو اولى به كأنه لم يسمع بقولهم :

« اذا عز اخوك فهن » ولم يسمع بقول النبي صلى الله عليه وسلم في السائب بن صيفي « هذا شريكي الذي لا يشاري ولا يماري » ولا بقول عثمان « اذا كان لك صديق فلا تماره ولا تشاره » ولا بقول ابن ابي ليلى « لا اماري اخي اما ان اكذبه واما ان اغضبه » ولا بقول ابن عمر « لا يصيب الرجل حقيقة الايمان حتي يترك المراء وهو محق » وكأنه لم يسمع بقول الشاعر

خلافا علينا من قيالة رأيه كما قيل قبل اليوم خالف فتذكرا

ولم يسمع بقول الاول « رآه معدا للخلاف » البيت ولا بقول الاخر

لنا صاحب مولع بالخلاف كثير المراء قليل الصواب
أجلّ لجاجا من الخنفساء وأزهى اذا ما مشي من غراب

وقالوا « فلان اخلف من بول الجمل » ولذلك قال الشاعر

واخلف من بول البعير فأنه اذا قيل للاقبال أقبل أدبرا

قال رجل لزهير البابي « أين نبت المراء » قال « عند أصحاب الاهواء » وقال عمر بن عبد العزيز « من جعل دينه عرضاً للخصومات اكثر التنقل » وكان عمر بن هبيرة يقول

« اللهم اني أعوذ بك من المراء وقلة خيره ومن اللجاج وتندم أهله » وقال بعض المذكورين « اللهم انا نعوذ بك من المراء وقلة خيره وسوء أثره على أهله فانه يهلك المروءة ويذهب المحبة ويفسد الصداقة ويورث القسوة ويضرى على القحة حتى يصير الموجز خطلا والحليم نزقا والمتوقى خبوطا والصدوق كذوبا » والمراء من أسباب الغضب وأقرب ما يكون الرجل من غضب الله اذا غضب كما انه أقرب ما يكون من رحمة الله اذا سجد لقول الله عز وجل « واسجد واقترب » . وقال لقمان لابنه « اياك والمراء فانه لا تعقل حكمته ولا تؤمن لهجته » وقال آخر « المراء غضبه والصمت حكمه ولو كان المراء خلا والفخر أما ما ألقحنا الا الشر » وقال الشعبي « انى لاستحيي من الحق أن أعرفه ثم لا أرجع اليه » وقال ابن عيينة « قال الحسن ما رأيت فقيها قط يدارى ولا يمارى انما ينشر حكمته فان قبلت حمد الله وان ردت حمد الله » قال ابراهيم بن اسماعيل بن علية عن المبارك ابن سعيد قال مجاهد صحبت رجلا من قريش ونحن نريد الحج فقلت له يوما هلم نتفاتح الرأي فقال دع الود كما هو فعلمت والله

ان القرشي غلبني وقال اسحق الموصلي « كثرة الخلاف حرب وكثرة المتابعة غش »

*
* *

بسم الله الرحمن الرحيم . أطال الله بقاءك وأتم نعمته عليك وكرامته لك قد علمت حفظك الله انك لا تحسد على شيء حسدك على حسن القامة وضخم الهامة وعلى حوَر العين وجودة القدّ وعلى طيب الأحدوثة والصنيعة المشكورة وان هذه الأمور هي خصائصك التي بها تكلف ومعانيك التي بها تلهج وانما يحسد ابقاك الله المرء شقيقه في النسب وشفيعه في الصناعة ونظيره في الجوار على طارف قدره او تالد حظه أو على كرم في أصل تركيبه ومجارى أعراقه وأنت تزعم ان هذه المعاني خالصة لك مقصورة عليك وانها لا تليق الا بك ولا تحسن الا فيك وان لك الكل وللناس البعض وان لك الصافي ولهم المشوب هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه والبديع الذي لا نبلغه فما هذا الغيظ الذي انضجك وما هذا الحسد الذي أكمدك وما هذا الاطراق الذي قد اعتراك وما هذا

الهمّ الذي قد اضناك وهل رأيت أخسر صفقة وأوهن قوة ممن يجرى العتاق مع الكوادن والرائع مع الحواسر وممن حاكم من يساله وجاذب من يقلده وهل رأيت مكينا يغلق ومصنوعا له يسخط وهل زدت على ان اطمعت فى نفسك ومكنت للشبهة في أمرك وأنشأت للخامل ذكرا وللوضيع قدرا انك لا تعرف الامور ما لم تعرف اشباهها ولا عواقبها ما لم تعرف اقدارها ولن يعرف الحق من يجهل الباطل ولا يعرف الخطا من يجهل الصواب ولا يعرف الموارد من يجهل المصادر فانظر لم تسالمت النفوس مع تفاوت منازلها ولم تجاذبت عند تقارب مراتبها ولم اختلف الكثير واتفق القليل ولم كانت الكثرة علة للتخاذل والقلة سببا للتناصر وما فرق ما بين المجاراة والتحاسد وبين المنافسة والتغالب فانك اذا عرفت ذلك استرحت منا ورجوت ان نستريح منك وكيف يعرف السبب من يجهل المسبب وكيف يعرف الوصل من يجهل الفصل وكيف يعرف الحجة من الشبهة والغدر من الحيلة والواجب من الممكن والمعقول من الموهوم والمحال من الصحيح والاسرار

المجهولة من ذوات الدلائل الخفية وما يعلم مما لا يعلم وما يعلم باللفظ دون الاشارة مما لا يعلم الا بالاشارة دون اللفظ وما يعلم معتقدا ولا يعلم مكينا مما يعلم مكينا ولا يعلم معتقدا وما المستغلق الذى يجوز أن يفارقه استغلاقه والمبهم الذى لا يفارقه استبهامه ومن هو طائر مع العوام حيث طارت وساقط معها حيث سقطت مع الزراية عليها والرغبة عنها قد ظلمها بفضل ظلمه لنفسه وجري معها بقدر مناسبتها لقدره فاعرف الجنس من الصنف والقسم من النصف وفرق ما بين الذم واللوم وفصل ما بين الحمد والشكر وحد الاختيار من الامكان والاضطرار من الايجاب وسنعرفك من جملة ما ذكرنا بابا أنت اليه احوج وهو علينا اردّ اعلم ان الحد اسم لما فضل عن المنافسة كما ان الجبن اسم لما فضل عن التوقى والبخل اسم لما قصر عن الاقتصاد والسرف ما جاوز الجود وأنت جعلت فداك لا تعرف هذا ولو ادخلتك الكير ونفخت عليك الى يوم ينفخ في الصور وهل فى الارض اقرار اثبت او دليل اوضح او شاهد اصدق من شاهدى على ما ادعيت لنفسك

من الرفعة مع ماظهر من حسدك لاهل الضعة وهل تكون بعد ذلك الا فاسد الحسن ظاهر العنود اوجاهلا بالمحال وبعدا بقاك الله فانت في يدك قياس لا ينكسر وجواب لا ينقطع ولك حد لا يذلّ وغرب لا ينثنى وهو قياسك الذي اليه تنسب ومذهبك الذي اليه تذهب ان تقول وما علتى ان رآني الناس عريضا واكون في حكمهم غليظا وانا عند الله طويل جميل وفي الحقيقة مقدود رشيق وقد علموا ابقاك الله ان لك مع طول البادّ راكبا طول الظهر جالسا ولكن بينهم فيك اذا قمت اختلاف وعليك لهم اذا اضطجعت مسائل ومن غريب ماأعطيت وبديع ماأوتيت انالم نر مقدودا واسع الجفرة غيرك ولا رشيقا مستفيض الخاصرة سواك فانت المديد وانت البسيط وانت الطويل وانت المتقارب فياشعراً جمع الاعاريض وياشخصا جمع الاستدارة والطول بل ما يهمك من أقاويلهم ويتعاظمك من اختلافهم والراسخون في العلم والناطقون بالفهم يعلمون ان استفاضة عرضك قد أدخلت الضيم على ارتفاع سمكك وان ما ذهب منك عرضا قد استغرق ما ذهب منك

طولا ولئن اختلفوا في طولك لقد اتفقوا في عرضك واذ قد سلموا لك بالرغم شطراً ومنعوك بالظلم شطرا فقد حصلت ما سلموا وانت على دعواك فيما لم يسلموا ولعمري ان العيون لتخطئ وان الحواس لتكذب وما الحكم القاطع الا للذهن وما الاستبانة الصحيحة الا للعقل اذ كان زماما على الاعضاء وعياراً على الحواس ومما يثبت أيضا ان ظاهر عرضك مانع من ادراك حقيقة طولك قول ابي دؤاد الايادي في إبله

سمنت واستحسن اكرعها الا انني نيّ ولا السنام سنام

وقول رافع بن هريم

أدقّ شواها عند بهرة جوفها سنام كقصر الهاجريّ مقرمد

ولو لم يكن من العجب الا انك اول من تعبده الله بالصبر على خطأ الحس وبالشكر على صواب الذهن لقد كنت في طولك آية للسابلين وفي عرضك منارا للمضلين وقد تظلم المربوع مثلي من الطويل مثل محمد ومن القصير مثل احمد اذ زعم محمد انه انما افرط في الرشاقة ونسب القضافه لان طوله غمر الاعتدال من عرضه وزعم احمد انه انما افرط في العرض

ونسب الى الغلظ لأن افراط عرضه غمر الاعتدال من طوله وكلاهما يحتاج الى الاعتذار ويفتقر الى الاعتلال والمربوع بحمدالله قد اعتدلت اجزاؤه فى الحقيقة كما اعتدلت في المنظر فقداستغنى بعز الحقيقة عن الاعتذار وبحكم الظاهر عن الاعتلال وقدسمعنامن يذم الطوال كماسمعنامن يزرى على القصاروالم نسمع احدا ذم المربوع ولا أزرى عليه ولا وقف عنده ولاشك فيه ومن يذمه الامن ذم الاعتدال ومن يزرى عليه الا من يزري على الاقتصاد ومن ينصب للصواب الظاهر الا المعاند ومن يمارى في العيان الا الجاهل بل من يزرى على احد بتفاقم التركيب وبسوء التنضيد مع قول الله جل ثناؤه « ما ترى فى خلق الرحمن من تفاوت » وبعد فاى قدّ أردي وأى نظام أفسد من عرض مجاوز للقدر وطول مجاوز للقصد ومتي لم يضرب العرض بسهمه على قدر حقه ويأخذ الطول من نصيبه على مثل وزن جسمه خرج الجسد من التقدير وجاوز التعديل واذا خرج من التقدير تفاسد واذا جاوز التعديل تباين ولئن جاز هذا الوصف وحسن هذا النعت كان

لقاسم الثمار ما ليس لأحمد بن عبد الوهاب وهذا كله بعد ان يصدقوك على ما ادعيت لطولك فى الحقيقة واحتججت به لعرضك في الحكومة على انك باعتلالك لما ينفيه العيان واستشهادك لما تنكره الآذان متعرض للصدق من المتكرم ومتحكك بالحكم من المتغافل وأى صامت لا ينطقه هذا المذهب وأي ناطق لا يغريه هذا القول واذا كان هذا ناقضاً لعزم المتسلم فما ظنك بعادة المتكلف فأنشدك الله ان تغرى بك السفهاء أو تنقض عزائم الحكماء وما ادرى حفظك الله في أى الامرين انت اعظم اثما وفى ايهما انت أفحش ظلما ابتعرضك للعوام بافسادك حكم الخواص وبعد فما يحوجك الى هذا ومايدعوك اليه واشباهك من القصار كثير ومن ينصرك منهم غير قليل وقد رأيتك زمانا تحتج بالنعمان بن المنذر وبضمرة ابن ضمره وبمجاعة بن مرارة وبمجاعة بن سعر وباروخ بن زرارة وبعبدالله بن الجارود وبعلباء بن الهيثم وبسعيد بن قيس وبابى اليسر كعب بن عمرو وبحسكة بن عتاب وبمخارق بن غفار وبعمران بن حطان وبيوسف بن عمر وبأياس بن معاوية

وبمعن بن زائده وبعقبة بن سلم وبرجال ناهيك بهم رجالا وباعلام كفاك بهم اعلاما ورأيتك تقول ان كان الفضل فى النكاية أو فى الشدة والصلابة فصار كل شيء اشد ضررا وادق مدخلا واظهر قوة وجلدا كالحجارة اصلبها الحصي وكالحيات اقتلها الافعى وكالبعوض اضرها القرقس وكالعقارب اقتلها الجرّارات وكذلك احرار الطير وبغاثها وصغار البراغيث وكبارها وقلت ان كان الفضل في العدد فمنا ياجوج وماجوج ومنا الذرّ والفراش ومنا الدعاميص والبعوض والرمل والتراب وقطر السحاب واحتججت بان الفضل والحسن لصغار مافي الانسان كالناظرين والأنثيين وحبة القلب وأمّ الدماغ وزعمت ان الانسان اذا طال جسمه وامتد شخصه أسرع الانهدام الى بدنه والانحناء الي ظهره وان القصير لا يتقوس ظهره ولا يميل عنقه ولا يضطرب شخصه ولا تعوج عظامه ويسعه كل باب ويقطعه كل ثوب ولا تخرج رجلاه من النعش ولا تفضلان عن الفراش وهو بعد أخفّ على القلوب واخلط بالنفوس وأبعد من السماجة وأدخل فى كل باب ملاحة وقلت وتقول

الناس ما هذا الا فلفله وماهو الا زنبقه وما هو الا شرارة وما لسانه الا لسان ضبة ولم أزل أراك تقدم العرض على الطول وذلك كقول الشعراء ووصف العلماء وقال الشاعر

كأن بلاد الله وهي عريضة على الخائف المطلوب كفة حابل

ولم يقل كأن بلاد الله وهى طويلة وقال آخر

وفى الارضين للمرء العريضة مذهب ولم يقل الطويلة وقال

ولا تحسداني بارك الله فيكما

على الارض ذات العرض ان توسعاليا

وقال الآخر

تقطع أرضا وتلاقى أرضا ان البلاد غلبتنى عرضا

ولم يقل طولا

وقلت لولا فضيلة العرض على الطول لما وصف الله الجنة بالعرض دون الطول حيث يقول جل ثناؤه وجنة عرضها كعرض السماء والارض فهذه براهينك الواضحة ودلائلك الظاهرة ولو لم يكن فيها من الرضى والتسليم ومن القناعة والاخلاص الا انك ترى ان ماعند الله خير لك مما عند الناس

وان الطول الخفى احب اليك من الطول الظاهر لكان فى ذلك ما يشهد لك بالانصاف ويحكم لك بالتوفيق وانا ابقاك الله اعشق انصافك كما تعشق المرأة الحسناء واتعلم خضوعك للحق كما اتعلم التفقه فى الدين ولربما ظننت ان جورك انصاف قوم آخرين وان تعقدك سماح رجال منصفين وما اظنك صرت الى معارضة الحجة بالشبهة ومقابلة الاضطرار بالاختيار واليقين بالشك واليقظة بالحلم الا الذى خصصت به من إيثار الحق وألهمته من فضيلة الانصاف حتي صرت احوج ما تكون الى الانكار اذعن ما تكون بالاقرار واشد ما تكون الى الحيلة فقرا اشد ما تكون للحجة طلبا الا ان ذلك بطرف ساكن وصوت خافض وقلب جامع وجاش رابط ونية حسنة وارادة تامة مع غفلة كريم وفطنة عليم ان انقطع خصمك تغافلت وان خرف ترفقت غير منخوب ولا متشغب ولا مدخول ولا مشترك ولا ناقص النفس ولا واهن العزم ولا حسود ولا منافس ولا مغالب ولا معاقب تقلّ الحزّ وتصيب الفصل وتقرب البعيد وتظهر الخفى وتميز الملتبس وتلخص المشكل وتعطى

المعنى حقه من اللفظ كما تعطى اللفظ حقه من المعنى وتحب المعنى اذا كان حيا يلوح وظاهرا يصيح وتبغضه مستهلكا بالتعقيد ومستورا بالتغريب وتزعم ان شر الالفاظ ما غرق المعاني واخفاها ستروها وعماها وان راقت سمع الغمر واستمالت قلب الرّيض أعجب الالفاظ عندك ما رق وعذب وخف وسهل وكان موقوفا على معناه ومقصورا عليه دون ما سواه لا فاضل ولا مقصر ولا مشترك ولا مستغلق قد جمع خصال البلاغة واستوفى خلال المعرفة فاذا كان الكلام على هذه الصفة والف على هذه الشريطة لم يكن اللفظ اسرع الى السمع من المعنى الى القلب وصار السامع كالقائل والمتعلم كالمعلم وخفت المؤونة واستغنى عن الفكرة وماتت الشبهة وظهرت الحجة واستبدلوا بالخلاف وفاقا وبالمجاذبة موادعة ونهنؤا بالعلم وتشفوا ببرد اليقين واطمأنوا بثلج الصدور وبان المنصف من المعاند وتميز الناقص من الوافر وذل المخطل وعز المحصل وبدت عورة المبطل وظهرت برأة المحق وقلت والناس وان قالوا في الحسن كأنه باقة ريحان وكأنه خوط بان وكأنه قضيب

خيزران وكأنه غصن بان وكأنه صح رديني وكأنه صفيحة يمانيه وكأنه سيف هندواني وكأنها جان وكأنها جدل عنان فقد قالوا كأنه المشتري وكأن وجهه دينار هرقلي وما هو الا البحر وماهو الا الغيث وكأنه الشمس وكأنها دارة قمر وكأنها الزهرة وكأنها درّة وكأنها غمامة وكأنها مهاة فقد تراهم وصفوا المستدير والعريض بأكثر مما وصفوا به القصيف والطويل وقلت وجدنا الافلاك وما فيها والارض وما عليها على التدوير دون التطويل كذلك الورق والثمر والحب والثمر وقلت والرمح وان طال فان التدوير عليه أغلب لان التدوير قائم فيه موصولا ومفصلا والطول لا يوجد فيه الا موصولا وكذلك الانسان وجميع الحيوان وقلت ولا يوجد التربيع الا في المصنوع دون المخلوق وفيما أكره على تركيبه دون ما خلي وسوم طبيعته وعلى أن كل مربع ففي جوفه مدور فقد بان المدور بفضله وشارك المطوّل في حصته ومن العجب أنك تزعم انك طويل في الحقيقة ثم تحتج للاستدارة والعرض فقد أضربت عما عند الله صفحا ولهجت بما عند الناس فاما حور العين فقد انفردت

بحسنه وذهبت بهجته وملحه الا ما أبانك الله به من الشكلة فانها لا تكون في للتام ولا تفارق الكرام وقال الشاعر

ولا عيب فيها غير شكلة عينها كذلك عتاق الطير شكل عيونها

وقال آخر

وشكلة عين لو حبيت ببعضها

لكنت مكان النجم مرأى ومسمعا

فاما سواد الناظر وحسن المحاجر وهدب الاشفار ورقة حواشي الاجفان فعلى أصل عنصرك ومجارى أعراقك وأما ادراكك الشخص البعيد وقراءتك الكتاب الدقيق ونقش الخاتم قبل الطبع وفهم الشكل قبل التأمل مع وهن الكبر وتقدم الميلاد ومع تخوّن الايام وتنقص الازمان فمن توتياء الهند وترك الجماع ومن الحمية الشديدة وطول استقبال الخضرة فانك ياعم حسين تصلح ما أفسد الدهر وتسترجع ما أخذت منك الايام كما قال الشاعر

عجوز ترجى أن تكون فتية

وقد يبس الجنبان واحدودب الظهر

فراحت الى العطـار تبغى شـبابها

وهل يصلح العطار ما أفسد الدهر

وكيف أطمع فى نزوعك بعد اللجاج وقد منعتنيه قبله وكيف أرجو اقرارك جهرا وقد ابيته سرا وكيف تجود به صحيحا مطمعا وقـد بخلت به مريضا موئسا وكيف يرجو خيرك من يراك تطاول أباجعفر وتخاشـنه وتنافره وتراهنه ثم لاتفعل ذلك الافي المحافل العظام وبحضرة كبار الحـكام ثم تستغرب ضحكامن طمعه فيك وتعجب الناس من ممار انه لك واشهد بعد انك تخاشن عمرو بن بحر الجاحظ وتعاقله ثم تظارفه وتطاوله وتغنى مع مخارق وتنكر فضل زُرزُر وتستجف النظام وتستبرد الاصمعى وتستغبي قيس بن زهير وتستخف الاحنف ابن قيس وتبارز ابا الحسن على بن أبي طالب رضى الله عنه ثم تخرج من حدّ الغلبة الى حد المراء ومن حد الاحياء الى حدود الموتي هذا وليس لك مساعد ولامعك شاهد واحـد ولارأيت احدا يقف في الحـكم عليك اوينظر تحقيق دعواك ولارأيت مبصرا يخليك من التأنيب ولامؤنبا يخليك من

الوعيد ولا متواعدا يخليك من الايقاع ولا موقعا يرثي لك ولا شافعا يشفع فيك ياعم لم تحملنا على الصدق ولم تجرعنا مرارة الحق ولم تعرضنا لاداء الواجب ولم تستكثر من الشهود عليك ولم تحمل الاخوان على خلاف محبتهم لك اجعل بدل ما تجنى على نفسك ان تجنى على عدوك وبدل ما تضطر الناس ان يصدقوا فيك أن تضطرهم الى ان يمسكوا عنك ولا بد يرحمك الله لمن فاته الطول من أن يلقى بيده الى التهلكة أو من أن يقول بخلاف ما يجد فى نفسه فوالله انك لجيد الهامة وفى ذلك خلف من حسن القامة وانك لحسن الحظ وفى ذلك عوض من حسن اللفظ وانك لقليل الشيب قليل البول وانك لا تجد مقالا وانك لتعد خصالا فقل معروفا فأنا من أعوانك واقتصد فأنا من أنصارك وهات فانك لو أسرفت لقلنا قد اقتصدت ولو جرت لقلنا قد اهتديت ولكنك تجئ بشئ تكاد السموات تنفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا ولو نشنشك لساعدناك ولو ناقشناك لأغربناك ولربما عذرتك ولان جانبى لك فاقول خرف الشيخ اذا كان جادا وعبث ان كان هازلا وقد يعجل

الخرف الى أحدث منك سنا ويبطئ عن أطول منك عمرا
بل من هذا الذى يعد من السنين ماتعدّ وبلغ من الكبر ما
بلغت وعند من يدرك هذا العلم الا عند النجوم أوعند إبليس
الرجيم بل من يعرف ذلك الا فاطر السموات والارض
لوعرفت عقبان خطفه ونسور السراة واحناش الرمل وعير العانة
وورشان الغابة وشيوخ اليمامة وهرمى فرغانة انك لاتعد عمر نوح
عمراً ولا النجوم بوماوانك قد فتّ التاريخات وجزت حساب
الباورات واستقلات الاحقاب وخرجت من خطوط الهند لما
استطالت باعمارها ولا فرحت بطول أيامها فيا عقيد الفلك كيف
أمسيت ويا قوّة الهيولي كيف أصبحت ويا نسر لقمان كيف
ظهرت ويا أقدم من دوس ويا أسن من لبد ويا صيفىّ المستقر
ويا صاحب المسند حدثنى كيف رأيت الطوفان ومتى كان سيل
العرم ومذكم مات عوج ومتى تبلبلت الالسن وماحبس
غراب نوح وكم لبثتم في السفينة ومذكم كان زمان الخنان
ويوم السلانّ ويوم خزاز ووقعة البيداء هيهات أين عاد وثمود
وأين طسم وجديس وأين أميم ووبار وأين جرهم وجاسم أيام

كانت الحجارة رطبة واذ كل شيء ينطق ومذكم ظهرت الجبال ونضب الماء عن النجف وأى هذه الاودية أقدم أنهر بلخ أو النيل أم الفرات أم دجلة أو جيحان أم سيحان أم مهران وأين تراب هذه الاوديه وأين طين ما بين سفوح الجبال الى أعاليها فى أى بحر كبست وأي هبطة أشحنت وكم نشأ لذلك من أرض وحدث من عين جعلت فداك من أبو جرهم ومن رهط الدجال وهل تعرف له شبيها أين طويس وما قصة ابن صائد ومن شوسي المنتظر وخبرنى عن هرمس أهو ادريس وعن أرميا أهو الخضر وعن يحيي بن زكريا أهو أيليا وعن ذى القرنين أهو الاسكندر ومن أبوه ومن أمه ومن قيرى وعيرى ومن جلندي ومن أولاد الناس من السعالي وما الحوشن من الابل وخبرني عن قحطان ألعابر هوام لاسماعيل وعن قضاعة ألمعد ابن عدنان أم لملك بن حمير ومتى تخزعت خزاعة ومتي طوت المتأهل طيئ ومن ابن بنصر وما تلك السبيل وما قصة الزهرة وماشأن سهيل وما القول فى هاروت وماروت وماشأن الاربيانه وما قصة الفارة وجرم الوزغة وما احسان الحمامة وما تفريط

العظاية وما حصب الضفادع وما تسبيح الصرد وما عداء
ما بين الديك والغراب وما صداقة ما بين الجن والارضة وم
أين لها الماء وما بلغ من عقل الهدهد وأين قبر أمه ولم نتنن
ريحه وخبرني عن الأمة التي مسخت ثم فقدت ممن كانت والى
أي شيء صارت أأخذت براأم بحرا فان كانت بحريه أفهي الجري
وان كانت برية أفهي الضباب وما آوى وما خبين وما عرس
وما أوير وماوردان وماقصة الطراثيث وما سبب كون السنانير
وماعلة خلق الخنزير وكيف اجتمع في الذبابة سم وشفاء وكيف
لم يقتل الأفعي سمها وكيف لم يحرق الشمس ماعند قرصها وخبرني
عن الأبدال أهم اليوم بالعرج أم ببيسان أم كما كانوا متفرقين
وخبرني أكلهم موال أم كلهم عرب أم هم اخلاط وما فعل صاحب
انطاكية ولم أقيم سلمان بعد بلال أومن جعل بعد سلمان ومن
عشائرهم وأين دورهم وأين أهلوهم وكيف لم يتقدموهم
ويتفقدوهم وكيف صارت بيسان لسان الارض يوم القيامة
وكيف صارت كبد الحوت أول طعام أهل الجنة ولم تسمى
يونانا وهل الرجفة من حركته وهل الزلزلة من تنقله وما الخسف

وكيف شاهدت المسخ على طول الأيام أتقلبت خلقتهم أم صار ذلك ضربة واحدة وهل عاشوا أم أبلوا أو تركوا ثلاثا ثم أبطلوا وهل كانوا يتعارفون بعد المسخ ويعرفون بعض ماقد تزل بهم بعد القلب وخبرنى عن بحار نيطس وعن قبيس وعن الاصمّ وعن المظلم وعن جبل الماس وعن الباكى وعن قاف واين كنت عامّ الجحاف ومذكم كان زمن القطحل واين كان ملك الأزد واين كان ملك الاشكان واين كانا من ملك بنى ساسان واين كان خرّم ارذشير من استاشف وأين كان أبرويز من أنوشروان وأين جذيمة من تبع وأين الفنجب من بلهره وأين يغبور من قيصر وخبرنى عن الفراعنة أهم من نسل العمالقة وعن العمالقة أهم من قوم عاد وخبرني أهم من عاد الاولى أو من عاد الأخرى وخبرنى عن عطارد الهندى وجوابه لعطارد السماوى حين هبط اليه من فلكه وهل جرى بينهما الا ماسمعنا ومذكم كان ذلك وخبرنى كيف كان اصل الماء فى ابتدائه في أول ماأفرغ فى انائه اكان بحرا أجاجا استحال عذبا زلالا ام كان زلالا عذبا استحال أجاجا بحرا خبرنى كيف صار الماء

أبعد من الفلك ولا يكون الا في بطن الارض وهو أشبه بالهواء.
كما أن الهواء اشبه بالنار وكيف يكون احق بالوسط والارض
أبعد من شبه الفلك وكيف طمع جعلت فداك الدهرى في
مسألة السمالة والمطرقة وفى البيضة والدجاجة مع تقادم ميلادك
ومرور الاشياء على بدنك وكيف كان بدء البدّ فى الهند
وعبادة الاصنام فى الامم وقصة عمر بن لحى في العرب
وخبرنى عن عناق بنت آدم وعن ميسرة ومسرة وعن مهنه
ومهينه وعن بها وطبحا ومذكم عمرت جزيرة العرب ومذكم
بادت يونان وعن فصل ما بين السند والهند والهند والسند
وعن جميع من هلك بالرعاف وعمن أفناهم النمل وعمن أجحف
بهم السيل وعن أصحاب النعمان كم صنفهم وما تقول فى الرجم
السماوى اكان من عظام البرد أم كحجارة الطير الابابيل التى
من سجيل وخبرني عن معنى الفرات على حقه وصدقه
وعن نضوب البحر وعن تنقص الارض ولم عمل الفلك في
هذا العالم وليس بينهما شبه وهلا عمل فيه بقدرة منه وهل
يجوز أن يعمل شيء فى شيء الاوالآخر يعمل فيه وخبرنى

مذ كم كان الناس امة واحده ولغاتهم متساوية وبعدكم بطن أسودّ الزنجي وابيضّ الصقلبي ولم صار اللون أسرع تنقصاً من الجمود ولم كان الولد يجيء على شبه ما في أبيه من الامور الحادثة في بدنه عن القديمة في أصل تركيبه ومع ذلك لم يولد صبي قط في العرب مجنونا وماهذه الخاصية التي منعت من هذا المعنى وفي كم تمت لكل فرقة بعد التبلبل لغاتها واستفاض لسانها خبرني جعلت فداك ايما اطول عمرا الناس ام غير العانة ام الحية ام الضب ومتي تستغني الحية عن الغذاء ومتى ينتفع الضبّ بالنسيم ومتى ينقطع النسر عن السفاد وكيف صار البغل لا ينسل وهو ولد الرمكة من العير وكذلك السمع لا ينسل وهو ولد الضبع من الذئب والراعي ينسل وهو ولد الحمام من الورشان والبختي ينسل وهو من ولد الغراب من الفوالج ولم يسمع في الظلف اذا اختلفت ولم يسمع في الحافر ولا في الخفّ اذا اختلف وخبرني عن الزرافة أمن ولد الناقة أم من الضبع وعن الشبوط امن ولد البنيّ من الزجر وخبرني ما عنقاء مغرب وما ابوها وما امها وهل خلقت وحدها

أم من ذكر وأنثى ولم جعلوها عقيما وجعلوها انثي
ومتى تمهد لذلك الصبي ومتي تظل بجناحها شيعة
الامام ومتى يلقى فى فيها اللجام ومتي يباع له الكبريب الاحمر
ويساق اليه جبل الماس وخبرنى عن بناء سور الأبلة وعمن
حير الحيرة ومن انشأ بنيان مصر ومن صاحب كردبنداذ
ومدينة سمرقند وخبرنى عن البناء الذى يضاف بالمدائن الى
سام أهو لسام وعن تدمر أهو لسليمان وأين ملك آخاذ بن
عمرى من ملك نمرود الخاطئ وأين وقع ملك ذى القرنين
من ملك سليمان وقد كنت اطال الله بقاك فى الطول زاهداً
وعن القصر راغبا وكنت امدح المربوع واحمد الاعتدال ولا
والله أن يقوم خير الاعتدال بشرّ قصر العمر ولا جمال المربوع
بما يفوت من منفعة العلم فاما اليوم فياليتنى كنت أقصر منك
وأضوى واقل منك وأوهي وليس دعائى لك بطول البقاء طلبا
للزيادة ولكن على جهة التعبد والاستكانة فاذا سمعتنى أقول
اطال الله بقاك فهذا المعنى أريد واذا رأيتني اقول لا اخلى الله
مكانك فالى هذا المعنى اذهب وقد زعموا ان كل ماطال عمره

من الحيوان زائد في شدة الاركان وفي طول العمر وصحة الابدان كالورشان والضباب وحمر الوحش وكلحم النسر لمن أكله ولحم الحية لمن استحله فان كان هذا الامر حقاً وكان هذا العلاج نافعا وكنت له مستعملا وفيه متقدما وتراه رأيا وان كنت عنه غنيا اخذنا منه بنصيب وتعلقنا منه بسبب وكيف لي بذلك وانا صغير الاذن واذنك أذن أبي سهيل وانا دقيق العنق وعنقك عنق قاسم التمار وانا صغير الرأس ورأسك رأس جالوت وفيك امران غريبان وشاهدان بديعان جواز الكون والفساد عليك وتعاور النقصان والزيادة اياك جوهرك ولكن تركيبك ارضى ففيك طول البقاء ومعك دليل الفناء فانت علة للمتضاد وسبب للمتنافي وما ظنك بخلق لا تضره الأحالة ولا ينسده التناقص جعلت فداك ما لقى منك الذهب واي بلاء دخل بك على الخمر كانا يتيهان بطول العمر ويبهجان ببقاء الحسن وبأن الدهر يحدث لهما الجدّة اذا حدث لجميع الاشياء المخلوقة فلما اربي حسنك على حسنهما وعمر طول عمرك اعمارهما ذلا بعد العز وهانا بعد الكرامة ومالى فيك قول الا قول الاعرابي

حين انتـل الطريق في الظلمة فلما عرف قصده عند طلوع القمر رفع رأسه شاكراً وهو يقول : « ماأقول أقول رفعك الله وقد رفعك ام اقول قد جملك الله وقد جملك ام اقول قد عمرك الله وقد عمرك ولكن اقول وهل انطق إن نطقت الا رجيعا واقول وماقلت الا لغوا » وقد زعم الناس ممن ينتحل الاعتبار ويتعاطى الحكمة ويطلب اسرار الامور ليس شيء ممايسا كن الانسان فى منزله وربعه وفي داره وموضع منقلبه الا والانسان يفضله في طول العمر وفي البقاء على وجه الدهر كالحمام والدجاج والسقائر والكلاب والبقر والغنم والحمير والخيل والجواميس والابل وزعموا ان اقصرها اعماراً العصافير وان اطولها اعماراً البغال وان العلة فى طول بقاء البغل قلة السفاد وفي قصر عمر العصافير كثرة السفاد وان مما يقضي بهذه العلة ويثبت هذه القضية مايعم الخصيان من طول العمر ويعم الفحولة من قصر العمر وما أرى حفظك الله بهذا القياس بأساً فى ظاهر الرأى وما اجده بعيدا فى اغلب الظن ولو كنت اقبل لك علما وأعلمه يقينا لكان أحب الامور الى ان يكون لي فيه سلف صدق وامام

لا يغلط وان احكيه عن معدّل واسنده الى مقنع فقل نسمع وأشر نتبع يعجبنى جعلت فداك منك بغض الشهرة ودبيبك فى غمار الحشوية استغناء بنفسك وصونا لقدرك ومعرفة بما اعطيت وثقة بالذى أوتيت وما اقلّ بحمد الله ما سبقك به ابليس وماايسر ما فاتك به آدم فزاد الله شاكرك نعمة وناصرك عزة وقد ذكرت الرواة في المعمرين اشعارا وصغت في ذلك اخباراً ولم نجد على ذلك شهادة قاطعة ولا دلالة قائمة ولا نقدر على ردها بجواز معناها ولا على تثبيتها اذا لم يكن معها دليل يثبتها وقد تعرف ما فى الشك من الحيرة وما في الحيرة من القلق وما فى القلق من النصب وما فى النصب من طول الفكرة وما فى طول الفكرة من الوحشة وما فى طول الوحشة من التعرض للوساوس والخفقة وما فى اتعاب القلب وانضاء النفس من كلال الحدو ما في الالحاح من دواعي الضجر وما فى الجهل من النقص وما فى نزاع النفس من الكد وافتح لبيتك بابا نسترح اليه واقم له علما نقف عنده فقد علمت ما ذكروا من عمر نابغة بنى جعدة ومالك ذى الرقيبة ونصر

ابن دهمان وبقيلة الغساني والربيع بن ضبيع ودويد بن نهد
وأنت ابقاك الله تعرف ميلاد آبائهم واجدادهم وقبائلهم
وعمائرهم واصولهم واحزابهم فخبرني اكذبوا ام صدقوا ام
اقتصدوا ام أسرفوا فاما ما رووا لاجسام الناس من الطول
والعرض وثبتوا من السمن والعظم والضخم سوى ما نطق
به الكتاب عن اجسام عاد فالشاهد على كذبهم حاضر
والدليل على فساد عقولهم ظاهر كالذى رابنا من اقرار سيوف
الاشراف وازجة رماح الفرسان وكتيجان الملوك التى في الكعبة
وكضيق ابوابهم وقصر سمك عتب درجهم فى قصورهم العادية
ومدنهم المدملية ويدل على ذلك الجرون التى كانت مقابرهم
وأبواب مدافنهم في بطون ارضيهم وشفف جبالهم ومطاميرهم
ومواضع قناديل كنائسهم ومجالسهم وبيوت عباداتهم وملاعبهم
من قمم رؤوسهم ولا حضرنا من الشواهد على ما ادعوا من
اعمارهم مثل الذى حضرنا من الشواهد على تكذيبهم فى
طول قاماتهم اذا لما عينيناك ولا ابتذلناك وعلى انه لو كان السبب
فى طول قاماتهم وضخم ابدانهم تقادم ميلادهم وحدة قوة

الارض من قبل ان تخلق وشبابها قبل ان تهرم لكان ينبغي لمن كان قبلهم ان يكون اعظم منهم ولكان نقصان من بعدهم ممن يلي عصرهم ومن يلي اولئك على حساب ذلك. وخبرني ابقاك الله من كان باني ريام ومن انشأ كعبة نجران ومن صاحب عمدان ومن باني تدمر ومن صاحب الهرمين ومنذ كم بنيت مأرب واين كان الابلق الفرد من المشقر واين قصر النوبهار من قصر سنداد ومن صاحب عقرقوف ولم قضيت جعات فداك لجمعة الايادية على بنت الخس ولابن شريه على شق وللنخار على ابن النطاح ولابن الكيس على ابن لسان الحمرة واين كانت الزباء من ملكة سبا واين خاتون من بوران واين جلندى من اسباذ واين مريم من افعى واين كان لقيم من لقمان واين كان كرز ابن علقمة من مجزز المدلجي واين كان رافع المخشن من دعيميص الرمل وخبرني عن عظامة اقاليم الخراب وعن خلاء شق الجنوب أذلك قائم مذدار الفلك وكان النموّ او الدول بينهما مقسومة والايام عليهما موقوفة ولم قدمت أقاليم دوس على اقاليم بابل وخبرني عن الشهب اتكون نهاراً أم تكون ليلا ولم قدمت

الروم فى الصنعة على اهل الصين ولم قدمت تبت على الزابج ولم فضلت السكون على الحركة ولم جعلت الكون فساداً والافتراق اجتماعا قد وجدتك جعلت فداك خفت ان تكون ابن صائد ورجوت ان تكون الدجال ولعلك دابة الارض وما ادرى لعلك سوشي ولست بحمد الله الخضر والذى لا اشك فيه انك غير المسيح وأظن روحك روح شيقرة بل روح بلعدبوب بل روح دكالا وانك الأركون المنتظر واحتمل لى مسألة واحدة ولا أعود وسأ جعلها طويلة ولا ازيدكم بين ودّ وسواع ويغوث ويعوق وبين مناة والعزى والنبغب وعائم وبين مناف ونهم وسعد ومنهب ومذكم نكح أساف نائلة ومذكم مسخا في الكعبة وخبرني عن برهوت وبلهوت وعن الجابية وموضع الطاغية وعن سيف الصاعقة ومن القى ذلك الى الرافضة وما كان مال قارون وما كان كنز النطف ولمن كانت البلهة وما قرط مارية وما اصل مال ابن جدعان وكيف كان مشورة أمه وخبرني عن ذلك المال الذى من أخذ منه ندم ومن تركه ندم جعلت فداك قد شاهدت الانس مذ خلقوا ورأيت الجن

قبل ان يحجبوا ووجدت الاشياء بنفسك خالصة ومزوجة واغفالا وموسومة وسالمة ومدخولة فما يخفى عليك الحجة من الشبهة ولا السقم من الصحة ولا الممكن من الممتنع ولا المستغلق من المستبهم ولا النادر من البديع ولا شبه الدليل من الدليل وعرفت علامة الثقة من علامة الريبة حتى صارت الاقسام عندك محصورة والحدود محفوظة والطبقات معلومة والدنيا بحذافيرها مصورة ووجدت السبب كما وجدت المسبب وعرفت الاعتلال كما عرفت الاحتجاج وشاهدت العلل وهي تولد والاسباب وهي تصنع فعرفت المصنوع من المخلوق والحقيقة من التمويه فما تقول فى الرئي وما تقول في الرؤيا وما تقول في اكسير الكيميا وما تقول في كيدوس الصنعة وما تقول في الزجر وما تقول فى الفراسة وما تقول في الفأل وما تقول فى الطيرة وما تقول فى الظلم وما تقول في معنى البركة وما تقول في النجوم وما تقول في الخيلان وما تقول في اسرار الكف وما تقول في النظر فى الاكتاف وما تقول في قرض الفارة وما تقول فى الحاح الخنفساء وما تقول في دوائر الرأس

وفى اوضاح الخيل وفى النمس والسور وفي الديك الافرق والسنور الاسود وفي البول في النفق وفى الاطلاع في عادى الآبار وفي النوم بين البابين وما تقول فى النمنمة وفى الرتيمة وفى تعليق كعب الارنب وفى حلى السليم وفى البلايا والولايا وما تقول فى الهامّ والاستمطار بالسلع والعشر وما تقول فى شق البرقع وفى حدر الرداء وفى كي الصحيح عن ذى العرد وفي فقوء العين للسواف وفي نزع المسر للعارد وما تقول فى الآمر والناهى والمتربص وفى النطيح والقعيد والساذج والبارج وما تقول فى وطيء المقالات للقتلى وفي دماء الملوك للكابى وما تقول في صرع الشيطان وفي تكوّن الغيلان وفي عزيف الجنان وفى ظهور الغمار وفي طاعتهم للعزائم وفى رئى المأمور الحارثي وعتيبة بن الحارث اليربوعىّ وما فضل مابين العراف والكاهن والحازى والمتبوع وماتقول في تحول إبليس فى صورة سراقة المدلجىّ وفى صورة الشيخ النجدي وخبرنى عن شنقناق وشيصبان وعن سلقمة وزوبعة وعن المذهب والسعلاة وعن بركوبر ودركاداب واين كان مسحل شيطان الاعشى

من عمرو شيطان المنخل قد والله عافانا الله بك وابتلى وانعم بك وانتقم فدحيا لمن زهد فيك وسقياً لمن رغب اليك وويل لمن جهل فضلك بل الويل لمن انكر فضلك انك جعلت فداك كما لم تكن فكنت كما لا تكون بعد ان كنت وكما زدت في الدهر الطويل فكذا تنقص في الدهر الطويل أذ كل طويل فهو قصير وكل متناه فهو قليل فأياك ان تظن انك قديم فتكفر واياك ان تنكر انك محدث فتشرك فان للشيطان في مثلك اطماعا لا يصيبها في سواك ويجد فيك عللا لا يجدها في غيرك ولست جعلت فداك كابليس وقد تقدم الخبر في بقائه الى انقضاء أمر العالم وفنائه ولولا الخبر لما قدمته عليك ولا ساويته بك وانت احق من عذر وأول من ستر ولو ظهر لي لما سالمته كسوء الى اياك ولما ناقلته الكلام كما ناقلتني لك وان كان في التجاذب مثلك فهو في النصيحة على خلافك ولانك ان منعت شيئاً فمن طريق التأديب أو التقويم وهو ان منع منع بالغش والارصاد وانت على حال شكل ونحن نرجع الى اصل ونلتقي الى اب ويجمع بيننا دين وخبرني عن الشف وافواق

وعن النسناس دوّ البلى والكركدن وعن عنقاء المغرب وعن الكبريت الاحمر وعن ثور الله في الارض وحدثني عن شعب رضوى وعن جبال حسمى ومتي ترى الماء الاسود والجوّ الاكلف والطين الأزرق وكيف ذلك الثمر وهل يظمأ ذلك الأسد وهل باض الخفاش وهل آمنت الحبارى ومتى تتعلم ما في الجفر وتحكم ما في الزير وما فعل نخل وبار ونعاج ابي المرقال وما الحجة في الرجعة والقول في المناسخة ومن اين قلتم بالنداء ومن أين جعلتم العمل فعلا والزياده فلتا وما القول في النفس وخبرني ما السحر وما الطلسم وما الدنهش وما الخلقطير وما الهيكل وما الطوالق وما قولهم في اللبان الذكر وفي مراعاة المشترى ولم توحشوا من الناس ولم باتوا بالبراح واقاموا بالخراب واغتسلوا بالماء القراح ولم قدموا التصديق وأخروا الصرة ولم أجابوا واكرموا ولم منعوا وقتلوا وخبرني من خانق الغريض وقاتل سعد يوم النفق ومن الذى استهوى عمرو بن عدىّ ومن صاحب عمارة بن الوليد ومن يصرع منهم الاصحاء ومن يبرئ المرضى ويستهوى العقلاء وعن فصل

مابين الشيطان والجنى ومابين الجن والحن ومن طعامه الجدف
وخبرنى عن اشعار الهاتف ومايسمع بالليل من جوائب الاخبار
وخبرنى عن التميرى صاحب الورقة وعن تميم الدارى صاحب
الردم وخبرني عن شقلاق وعن اهرمن وعن كان وكان ومرة
وايدوش وافردش وابرشارش وابريارش وخونرث بام
وكيف صارت خونرث هذا أعمر العالم وأيما أكثر يأجوج أم
مأجوج وأيما أقصر وأيما أطول أعمارا وأيما أفضل منكر أو نكير
وأيما أخبث هاروت ام ماروت وأي حوت ابتلع يونس وأى حية
ابتلعت المهاب ومن أي حية كانت سفينة نوح ولم ملح الحمض
ولم طوّقت الحمامة وما فرق ما بين الطاس والكاس وما كان
سبب اتخاذ الأقبية وما سبب صنعة الزجاج وما قصة الرخام
أكيميا أو مخلوق ولم أمتنع عمل الذهب والزجاج أعجب
منه ومن صاحب المينا وتودين الحجارة ومن صاحب التلطيف
ومن صاحب النوشادر وما تقول فى التنين وفى فرائق الأسد
وما صداقة ما بين الخنفساء والعقرب وما بال السواد يصبغ
ولا ينصبغ وما بال البياض ينصبغ ولا يصبغ ومن صاحب

الاسطرلاب ومن صاحب القرسطون ولم أسئلك عن الحداد وانما سألتك عن الفيلسوف وعن علته فى المدّ والجزر خبرني عن جواهر الارض وعن جمع القار أشيء مفروغ من خلقه أم أرض يستحيل اليه ولم عمل بعض السم فى العصب وبعضه في الدم وبعضه فيهما جميعا ولم كان بعضه سم نجاز وبعضه سم جهاز ولم صار لا يقتل مع العادة وقتل قبل العادة ألا أنّ الطبائع تنكر الشيء الغريب أم لانه ضد في نفسه وكيف صار مع ريق الافعي ريق بعض الناس فى القتل وفى أيهما سم ولم خالف البيش فى العصب والدم ولم يقتل العقرب انسانا ويقتله آخر ولم صارت الافعى قاتلة وتأكلها القنافذ ولا تضرها ويأكلها الأروى فلا يتأذى بها ولم صارت الهندبة تقتل كل شيء ولا يقتلها شيء ولا يستمريها شيء ولم خالف النيل جميع الاودية فى النقصان والزيادة ولم بلغت جريته الشمال ولم صار اقصاه كادناه ومتي يدال منه ومتى يحوله الامام وقد علمت جعلت فداك ان الخبر اذا صح اصله وكان للناس علة في نشره كان في الدلالة على الحق كالعيان وفي الشفاء كالسماع على ان الخبر لا يعرف به مكيف الامور لكن يعرف به جمل

الاشياء الا خبرك فانك لاتحتاج الى اشارة ولا الي اعادة ولا الى تفسير حتى يقوم خبرك الشفأ وفي كيفية الشئ مقام العيان وقد كنت أتعجب من محمد بن عبد الملك وأقول ما تقولون في رجل لم يقل قط بعد انقضاء خصومته وذهاب خصمه لو كنت قلت كذا كان أفضل لو كنت لم أقل كذا كان أمثل ـ فما بال عفوه أكثر من جهدكم وبديهته أبعد من أقصى فكرتكم فلما رأيتك علمت انك عذاب صبه الله على كل رفيع ورحمة ان شاء لكل وضيع فخبرني ماجري بينك وبينه هرمس في طبيعة الفلك وعن سماعك من افلاطون وماداربينك وبين ذلك وارسطوطاليس وأى نوع اعتقدت وأي شئ اخترت فقد أبت نفسي غيرك وأبت أن تتشفى الا بخبرك ولولا أنى اكلف برواية الاقاويل وأغرم بمعرفة الاختلاف ولا استجيز مسألتك عن كل شئ وابتذالك في كل امر لما سمعت من احد سواك ولما انقطعت الى احد غيرك واعلم اني لم ارد بمزاحك الا ضحك سنك ولا كانت غايتي فيك الا لأ نفق عندك وقد كنت خفت الا اكون وقفت على حده واشفقت من المجاوزة لقدره والمزاح

باب ليس من المخوف فيه التقصير ولا يكون الخطأ فيه من جهة النقصان وهو باب متى فتحه فاتح وطرق له مطرق لم يملك من سدّه مثل الذى يملك من فتحه ولا يخرج منه بقدر ما كان قدم في نفسه لانه باب اصل بنائه على الخطأ ولا يخالطه من الاخلاق الا ما سخف ومن شأنه التزيد وان يكون صاحبه قليل التحفظ ولم نر شيئاً أبعد من شئ ولا اطول له صحبة ولا اشد خلافا ولا اكثر خلطا من الجد والمزاح والمناظرة والمراء قال القعقاع بن شور ليس لمزّاح مروءة ولا لمارٍ خلة وقال معاوية المزاح هو الشنار الاصغر وقال الحسن ابن حى المزاح استدراك من الشيطان واختراع من الهوى وعاب عمر بعض العظماء فقال ذاك رجل فيه دعابة وقال الشاعر

(وجدّ القول يفدمه المزاح) وقال آخر (رب كبير ساقه صغير) وقال آخر (رب جد ساقه اللعب)

فان كنت لم أقصر عن الغاية ولم أتجاوز حد النهاية فيما أعرف من يمن مكالمتك ومن بركة مكاتبتك ومن حسن تقويمك وجودة تثقيفك وان كنت قد أخطأت الطريق وجاوزت

حد المقدار فما كان ذلك عن جهل بفضلك ولا انكار لحقك ولكن حدود الاشياء اذا خفيت ومقاديرها اذا اشكلت ولم يكن مع الناظر فيها مثل تمامك ولا مع المتكلف لها مثل كمالك دخل عليه من الخلل بقدر عجزه ويسلم منه بقدر نفاذه نعم ولو كان من العلماء الموصوفين والادباء المذكورين ومن المزاح جعلت فدلك باب مكر وجنس خدع يتكل المرء فى اسأته الى جليسه واسماعه لصديقه على ان يقول مزحت وعلى ان يقول عند المحاكمة لعبت وعلى أن يقول من يغضب من المزاح الا كزّ الخلق ومن يرغب عن المناكهة الا ضيق العطن وبعد فمتى اعدّت النفس عذرا كانت الى القبيح أسرع ومتى لم تعدّ كانت عنه أبطأ ومن أسباب الغلط فيه ومن وداعى الخطأ اليه ان كثيرا ممن تمازحه يضحك وان كنت قد أغضبته ولا يقطع مزاحك وان كنت قد أوجعته وان حقد ففى الحقد الداء وان عجل فذاك البلاء وان قلت فما أدخلك فى شيء هذا سبيله وهكذا جوهره وطريقته قلت لاني حين أمنت عقاب الاساءة ووثقت بثواب الاحسان وعلمت انه لا يقضى الا على العمد ولا يعذب

الاعلى القصد صار الامن سائقا والامل قائدا واى عمل ارد
واى متجر أربح مما جمع السلامة والغنيمة والامن والبرّة
ولو كان هذا ذنبا لكنت شركى فيه ولو كان تقصيرا لكنت سببى
اليه لان دوام التغافل شبيه بالاهمال وترك التصريف يورث
الاغفال والعفو المتتابع والبشر الدائم يؤمنان من المكافأة
ويذهبان بالتحفظ ولذلك قال عيينة بن حصن لعثمان بن عفان
رضه «عمر كان خيرا لى منك أرهبنى فأتقانى واعطانى فاغنانى
وان كنت أجترأت عليك فلم أجترئ عليك الا بك وان كنت
اخطأت فلم اخطئ عليك الا لك لان حسن الظن بك
والثقة بعفوك سبب الى قلة التحفظ وداعية الى ترك التحرّم»
وبعد فمن وهب الكبير فكيف يقف عند الصغير ومن لم يزل
يعفو العمد كيف يعاقب على السهو ولو كان عظم قدري هو
الذي عظم ذنبى لكان عظم قدرى هو الذي شفع لى ولو استحققت
عقابك باقدامى عليك مع خوفي لك استوجب عفوك عن اقدامى
عليك لحسن ظنى بك على انى متى اوجبت لك العفو فقد اوجبت
لك الفضل ومتى اخفضت اليك العقاب فقد وصفتك بالانصاف

ولا اعلم حال الفضل الا اشرف من حال العدل والحال التي توجب لك الشكر الا ارفع من الحال التى توجب لك الصبر وان كنت لا تهب عقابي لحرمتي فهبه لايادیك عندى فان النعمة تشفع في النعمة فان لم تفعل ذلك للحرمة فافعله لحسن الأحدوثة وان لم تفعل ذلك لحسن الأحدوثة فعد الي حسن العادة وان لم تفعله لحسن العادة فأنت ما أنت أهله واعلم اني واياك متي تحاكمنا الى كرمك قضي لي عليك ومتي ارتفعنا الى عقلك حسن العفو عنى عندك وفصل مابيننا وبينك وفرق مابين قدرنا وقدرك انا نسيء وتغفر ونذنب وتستر ونعوج وتقوّم ونجهل وتحكم وان عليك الانعام وعلينا الشكر ومن صفاتك ان تفعل ومن صفاتنا ان نصف فاذا فعلت ماتقدر عليه من العقاب كنت كمن فعل مايقدر عليه من التصرف وصرت ترغب عن الشكر كما رغبنا عن التسليم وصار التعرض لعفوك بالامل باطلا والتعرض لعقابك بالخوف حقا ورغبت عن النبل والبهاء وعن السؤدد والسناء وصرت كمن يشفي غيظا أو يداوي حقداً أو يظهر القدرة أو يحب أن تذكر بالصولة ولم تجدهم أبقاك الله يحمدون القدرة الا عند

استعمالها فى الخير ولا يذمون العجز الا لما يفوت به من اتيان الجميل ونى لك بالعقاب وأنت خير كلك ومن أين أعتراك المنع وأنت أنهجت الجود لاهله وهل عندك الا مافى طبعك وكيف لك بخلاف عادتك ولم تستكره نفسك على المكافأة وطباعك الصفح ولم تكدّها بالمنافسة ومذهبها المسامحة فسبحان من جعل اخلاقك وفق اعراقك وقولك وفق عملك ومن جعل ظنك اكثر من يقيننا وفراستك اثبت من عياننا وعفوك أرجح من جهدنا وبداهتك أجود من تفكرنا وفعلك أرفع من وصفنا وغيبتك اهيب من حضور السادة وعتبك أشد من عقاب الظلمة وسبحان من جعلك تعفو عن المتعمد وتتجافى عن عقاب المصرّ وتتغافل عن المبادى وتصفح عن المتهاون حتى اذا صرت الى من ذنبه نسيان وتوبته اخلاص وهفوته نكر وشفيعه حرمة ومن لا يعرف الشكر الا لك والانعام الا منك ولا العلم الا من تأديبك ولا الاخلاق الا من تقويمك ومن لم يقصر في بعض طاعتك الا لما رأى من احتمالك ولا نسي بعض ما يجب لك الا لما داخله من تعظيمك صرت تتوعد بالصرم

وهو دليل كل بلية وتستعمل الاعراض وهو قائد كل هلكة وقد علمت ان عتابك اشد من الصريمة وان تأنيبك اغلظ من العقوبة وان منعك اذا منعت فى وزن اعطائك اذا اعطيت وان عقابك على حسب ثوابك وان جزعى من حرماتك في وزن سرورى بفوائدك وان شين غضبك كزين رضاك وان موت ذكرى بانقطاع سببى منك كحياة ذكرى مع اتصال سببى لك ومالى اليوم عمل أنا اليه اسكن ولا شفيع أنابه أوثق من شدة جزعى من عتبك وأفراط هلعى من خوفك ولست ممن اذا جاد بالصفح ومنّ بالعفو لم يكن لصاحبه منه الا السلامة والا النجاة من الهلكة بل تشفع ذلك بالمراتب الرفيعة والعطايا الجزيلة والعز في العشيرة والهيبة في الخاصة والعامة مع طيب الذكر وشرف العقب ومحبة الناس واما ذكري القدّ والخرط والطول والعرض وما بيننا وبينك فى ذلك من التشاجر والتنازع والتحاكم والتنافر فان الكلام قد يكون فى لفظ الجدّ ومعناه معنى الهزل كما يكون فى لفظ الهزل ومعناه معنى الجد ولو استعمل الناس الدعابة فى كل حال والجدّ فى كل مقال وزكوا

التسميح والتسهيل وعقدوا اعناقهم فى كل دقيق وجليل لكان السفه صراحا خيرا لهم والباطل محضا أردّ عليهم ولكن لكل شيء قدر ولكل حال شكل فالضحك فى موضعه كالبكاء في موضعه والتبسم في موضعه كالقطوب في وضعه وكذلك المنع والبذل والعقاب والعفو وجميع القبض والبسط فان ذممنا المزاح ففيه لعمري ما يذمّ وان حمدناه ففيه ما يحمد وفضل ما بينه وبين الجدّ ان الخطأ الى المزاح اسرع وحاله بحال السخف أشبه فاما ان يذم حتي يكون كالظلم ويتقى حتي يصير كالغدر فلا لأن المزاح مما يكون مرة قبيحا ومرة حسنا والظلم لا يكون مرة قبيحا ومرة حسنا فاذا ملنا الى الجد ورغبنا عن الهزل وتركنا المزاح وجلسنا للحكمة فقد أغناك الله عن الحجة كما سلمك من الشبهة ولم يكلفك الاحتجاج كما رغب بك عن الاعتلال فاصبحت لا محتجا ولا محجوجا ولا غفلا ولا موسوما ولا ملوماً ولا معذورا ولا فيك اختلاف ولا بك حاجة الي ائتلاف وليس مع العيان وحشه ولا مع الضرورة وصمة ولا دون اليقين وقفة وهل فى تمامك ريب حتي تعالج بالحجة

وهل رد فضلك جاحد حتي يثبت بالبينة وهل لك خصم في العلم أو ندّ في الفهم أو مجارٍ في الحكم أو ضد في العزم وهل يبلغك الحسد أو تضرك العين وتسمو اليك المنى أو يطمع فيك طامع أو يتعاطي شأوك باغٍ وهل يطمع فاضل أن يذوقك أو يأنف شريف أن يقصر دونك أو يخشع عالم أن يأخذ عنك وهل غاية الجميل الا وصفك وهل زين البليغ الا مدحك وهل يأمل الشريف الا اصطناعك وهل يقدّر الملهوف الا غياثك وهل للطول عرض سواك وهل للغوانى مثل غيرك وهل للماتح رجز الا فيك وهل يحدو الحادى الا بذكرك فلولا ان يأخذ الواصف بنصيبه منك وبحصته من الصدق وبسهمه من الشكر لكان الاطناب عندهم في وصفك لغوا وكان شقيق الكلام عجزا ولكان تكلفه فضلا ومن هذا الذي يضعه أن يكون دونك ويمتحن بالتسليم لك أو يعدّ اقراره احسانا وخضوعه انصافا وهل تقع الابصار الا عليك وهل تصرف الاشارة الا اليك ومن الشبيه لك في منزلتك ألست خلف الاخيار وبقية الابرار وأى أمرك ليس بغاية وأي شيء

منك ليس فى النهاية وهل فيك شئ يفوق شيئاً أو يفوقه شى
أو يقال لو لم يكن كذا لكان أحسن ولو كان كذا لكان أتمّ وأين
الحسن الخالص والجمال الفائق والملح المحض والحلاوة التى
لا تستحيل والتمام الذي لا يحيل الا فيك أو عندك أو لك أو معك
خالصة لك ومقصورة عليك لا تليق الا بك ولا تحسن الا فيك
فلك منه الكل وللناس البعض ولك الصافى وللناس المشوب
هذا سوى الغريب الذي لا نعرفه والبديع الذى لا نبلغه لا بل
أين الحسن المصمت والجمال المفرد والقدّ العجيب والكمال
الغريب والملح المنثور والفضل المشهور الا لك وفيك وهل
على ظهرها جميل حسيب أو عالم أديب الا وظلك أكبر
من شخصه وظنك أكثر من علمه واسمك أفضل
من معناه وحلمك اثبت من نجواه وصمتك أفضل من
لغواه وهل في الارض حليم سواك وهل أظلت الخضراء ذا
لهجة اصدق منك وهل حملت النساء أجلّ منك ولربما
رأيت الرجل حسنا جميلا وحلوا مليحا وعتيقا رشيقا وفخما
نبيلا ثم لا يكون موزون الاعضاء ولا مقدود الاجزاء وقد

تكون أيضاً الاقدار متساوية وغير متقاربة ولا متفاوتة ويكون قصداً ومقداراً عدلاً وان كانت دقائق خفية لا يراها الا الألمعيّ ولطائف غامضة لا يعرفها الا الذكى فأما الوزن المحقق والتعديل الصحيح والتركيب الذى لا يفضحه التفرس ولا يحصره التعنت ولا يتعلل واصفه ولا يطمع فى التمويه ناعته فهو الذى خصصت به دون الانام ودام لك على الايام وكذا الحسن اذا كان حرّاً مرسلا وعتيقاً مطلقاً لا يتحكم عليه الدهر ولا يذبله الزمان ولا يحتاج الى تمليق التمائم ولا الى الصون والكنّ ولا الى المناقيش والكحل ولو لم يكن لحسن وجهك الا انه قد سهل في العيوب تسهيلا وحبب الى القلوب تحبيباً وقرب الى النفوس تقريباً حتي امتزج بالارواح وخالط الدماء وجرى في العروق وتمشى في العظم بحيث لا يبلغه السم ولا الوهم ولا السرور الشديد ولا الشراب الرقيق لكان فى ذلك المزية الظاهره والفضيلة البينة ولو لم يكن لك الا أنا لا نستطيع ان نقول في الجملة وعند الوصف والمدحة هو احسن من القمر واضوأ من الشمس وأبهى من الغيث ولهو

احسن من يوم الحلبة وانا لانستطيع ان نقول في التماريق كأن عنقه ابريق فضة وكأن قدمه لسان حية وكأن عينه ماوية وكأن بطنه قبطية وكأن ساقه بردية وكأن لسانه ورقة وكأن أنفه حد سيف وكأن حاجبه خط بقلم وكأن لونه الذهب وكأن عوارضه البرد وكأن فاه خاتم وكأن جبينه هلال ولهو أطهر من الماء وأرق طباعا من الهواء ولهو أمضى من السيل وأهدى من النجم لكان في ذلك من البرهان النير والدليل البين وكيف لا يكون كذلك وانت الغاية في كل فضل والنهاية فى كل شكل واما قول الشاعر

يزيدك وجهه حسنا اذا ما زدته نظرا

وقول الدمشقيين « ما تأملنا قط تأليف مسجدنا وتركيب محرابنا وقبة مصلانا الا أثار لنا التأمل واستخرج لنا التفرس غرائب حسن لم نعرفها وعجائب صنعة لم نقف عليها وماندرى أجواهر مقطعاته اكرم فى الجواهر ام جواهر تنضيدات اجزائه فى تنضيد الاجزاء » فانما ذلك معنى مسروق مني في وصفك ومأخوذ من كتبي في مدحك والجملة التي تنفى الجدال وتقطع

القيل والقال انى لم ارك قط الا ذكرت الجنة ولا رأيت
اجل الناس فى عقب رؤيتك الا ذكرت النار والعجب أيها
السامع نى مقصر واذا رأيته علمت اني فيما يجب له مفرط وهو
رجل طينته حرة وعرقه كريم ومغرسه طيب ومنشوءه محمود
غذّى بالنعمة وعاش في الغبطة وأرهفه التأديب وألطفه طول
التفكر وخامره الادب وجرى فيه ماء الحياء واحكمته
التجارب وعرف العواقب فافعاله كاخلاقه واخلاقه كاعراقه
وعادته كطبيعته وآخره كأوله تحكى اختياراته التوفيق ومذاهبه
التسديد لا يعرف التكلف ويرغب عن التجوّز وينبل عن ترك
الانصاف ولا يمتنع عليه معرفة المبهم ولا يلتجج باستبانة
المشكل يتخير من الالفاظ أرقها مخرجا ومن المعانى أدقها مسلكا
واحسنها قبولا واجودها وقوعا وأتمها إطماعا باقوى الكلام
واوجزه واعذبه واحسنه يقلل عدد حروفه ويكثر عدد معانيه
ومن الفعل بعد ذلك اكمله تحقيقا اذا أقبل هبناه واذا أدبر
اغتبناه مع تمكنه وعقله وسعة صدره وبعد التحرز ولا يعرف
الشك الا فى غيره ولا العيّ الا سماعا فمن يطمع فى عيبك بل من

يطمع في قدرك وكيف وقد اصبحت وما على ظهرها خودٌ الا وهي تفترّ باسمك ولا قينة الا وهي تغنى بمدحك ولا فتاة الا وهي تشكو تباريح حبك ولا محجوبة الا وهي تنقب الخروق لمرّك ولا عجوز الا وهي تدعو لك ولا غيور الا وقد شقى بك فكم من كبد حرّى منضجة ومصدوعة مفرثة وكم حشا خافق وقلب هائم وكم عين ساهرة وأخرى جاهدة واخرى باكية وكم عبرى مولهة وفتاة معذبة قد أقرح قلبها الحزن واجهد عينها السكمد قد استبدلت بالحلى العطلة وبالأنس الوحشة وبالتكحيل المرَد فاصبحت والهة مبهوتة وهائمة مجهودة بعد طرف ناصع وسن ضاحك وغنج ساحر وبعد ان كانت نارا تتوقد وشعلة تتوهج وليس حسنك ابقاك الله الذى تبغى معه توبة أو تصح معه عقيدة أو يدوم معه عهد أو يثبت معه عزم أو يمهل صاحبه للتثبت أو يتسع للتخير أو ينهنهه زجر أو يهذبه خوف هو اعزك الله شيء ينقض العادة ويفسخ المنة ويعجل عن الروية ويطرح بالعرى وتنسى معه العواقب ولو ادركت ابن الخطاب لصنع بك اعظم مما صنع بنصر

ابن حجاج ولركبك باعظم مما ركب به جعدة السلمى بل لدعاه الشغل بك الي ترك التشاغل بهما والغيظ عليك الى الرحمة لهما فمن كان عيب حسنه الافراط والطعن عليه من جهة الزيادة كيف يرومه عاقل أوينتقصه عالم فلا تعجب ان كنت نهاية الهمة وغاية الامنية فان حسن الوجه اذا وافق حسن القوام وجودة الرأى وكثرة العلم وسعة الخلق والمغرس الطيب والنصاب الكريم والطرف الناصع واللسان البين والنعمة البهجة والمخرج السهل والحديث المونق مع الاشارة الحسنة والنبل في الجلسة والحركة الرشيقة واللهجة الفصيحة والتمهل فى المحاورة والهذّ عند المناقلة والبديه البديع والفكر الصحيح والمعنى الشريف واللفظ المحذوف والايجاز يوم الايجاز والاطناب يوم الاطناب يقل الحز ويصيب الفصل ويبلغ بالعفو مايقصر عنه الجهد كان أكثر لتضاعف الحسن واحق بالكمال والحمد والتاج بهىّ وهو على رأس الملك أبهى والياقوت كريم حسن وهو على جيد المرأة الحسناء أحسن والشعر الفاخر حسن وهو من فم قائله وان كان قول المنشد فريضة (بياض بالاصل) ومختبره فقد بلغ

الغاية وقام على النهاية وماندرى في أى الحالين أنت أجمل وفي
أى المنزلتين أنت أكمل اذا فرقناك أو اذا جمعناك واذا
ذكرناكلك أو اذا تأملنا بعضك فاما كذلك فهي التي لم تخلق
الا للتقبيل والتوقيع وهى التى يحسن بحسنها كل ماتصل بها
ويختال بها كل ما صار فيها كما اصبحنا وما ندرى الكأس
في يدك احسن أم القلم ام الرمح الذى تحمله ام المخصرة ام
العنان الذي تمسكه او السوط الذى تعلقه وكم اصبحنا وماندرى
اي الامور المتصلة براسك احسن وايها اجمل واشكل اللمة
ام مخطّ اللحية ام الاكليل ام العصابة ام التاج ام العمامة ام القناع
ام القلنسوة فاما قدمك فهي التى يعلم الجاهل كما يعلم العالم
ويعلم البعيد الاقصى كما يعلم القريب الادني انها لم تخلق الا لمنبر
ثغر عظيم أوركاب طرف كريم واما فوك فهو الذى لاندرى
ايّ الذى تتفوه به احسن واي الذى يبدو منه اجمل الحديث
ام الشعر ام الاحتجاج ام الامر والنهى ام التعليم والوصف
وعلى اننا ماندرى ايّ السنتك ابلغ واي بيانك اشفى أقلمك
ام خطك ام لفظك ام شارتك ام عقدك وهل البيان الا لفظ

اوخط اواشارة او عقد وانت فى ذلك فوقهم والحمد لله وواحدهم واعيذك بالله وانت تجوز الغاية وتفوق النهاية وقد علمنا ان القمر هو الذى يضرب به الامثال ويشبه به اهل الجمال وهو مع ذلك يبدو ضئيلا نضوا ومعوجا شختا وأنت أبدا قمر بدر فخم غمر ثم مع ذلك يحترق فى السرار ويتشاءم به في المحاق ويكون نحسا كما يكون سعدا ويكون نفعا كما يكون ضرا ويقرض الكتان ويشحب الالوان ويخمّ فيه اللحم وأنت دائم اليمن ظاهر السعادة ثابت الكمال شائع النفع تكسو من اعراه وتكنّ من أشجبه وعلى انه قد محق حسنه المحق وشانه الكلف وليس بذى توقد واشتعال ولا خالص البياض ولا متلالئ ويعلوه برد ويكسوه ظلّ الارض ثم لا يعتريه ذلك الا عند كماله وليلة فخره واحتفاله وكثيرا ما يعتوره الصفار من بخار البحار وأنت ظاهر التمام دائم الكمال سليم الجوهر كريم العنصر نارىّ التوقد هوائي الذهن درىّ اللون روحاني البدن وان احتجرا عليك بالجزر والمدّ احتججت عليهم بالعلم والحلم وبان طاعتك اختيار واعتبار وطاعته طباع

واضطرار وبأن له سيرة قد قصر عليها ومنازل لا يجاوزها لا تمكنه البدرات وليس في قواه فضل للتصرف وعلى ان ضياءه مستعار من الشمس وضياؤك عارية عند جميع الخلق فكم بين المعير والمستعير والمستبين والمتحير وبين العالم ومن لا حسن فيه ولا زالت الارض بك مشرقة والدنيا معمورة ومجالس الخير مأهولة ونسيم الهواء طيبا وتراب الارض عبقا ان تفتيت فالرشاقة والملح وان تنسكت فالرهبانية والاخلاص وان ترزّنت فثهلان ذو الهضبات ما يتحلحل وطباعك جعلت فدك طباع الخمر الا انك حلال كلك وجوهرك جوهر الذهب الا انك روح كما أنت وقد حويت خصال الياقوت الا مازادك الله عليه واخذت خصال المشترى الا ما فضلك الله به وجمعت خلال الدرّ الا ما خصصت به دونه فلك من كل شئ صفوته ولبابه وشرفه وبهاؤه وهل يضر القمر نباح الكلاب وهل يزعزع النخلة سقوط البعوضة عليها فاما القول في المزاح فقد بقي اكثره ومضى اقله وقد ذهب الناس في المزاح الى معان متضادة وسلكوا منه في طرق مختلفة فزعم بعضهم ان جميع المزاح خير من جميع

الجد وزعم آخرون ان الخير والشر عليهما مقسومان وان الحمد والذم بينهما نصفان وسنأتى على جمل هذه الاقاويل ثم نذكر ماتقول ان شاء الله فاما المحامى على الهزل والمفضل للمزح فانه قال اول ماأذكر من خصال الهزل ومن فضائل المزح انه دليل على حسن الحال وفراغ البال وان الجد لا يكون الا من فضل حاجة والمزح لا يكون الا من فضل غنى وان الجد غضب والمزح جمام والجد مبغضة والمزح محبة وصاحب الجدّ فى بلاء ما كان فيه وصاحب المزح فى رجاء الى ان يخرج منه والجد مؤلم وربما عرضك لأشد منه والمزح ملذّ وربما عرضك لألذّ منه فقد شاركه فى التعريض للخير والشر وباينه بتعجيل الخير دون الشر وانما تشاغل الناس ليفرغوا وجدّوا ليهزلوا كما تذللوا ليعزوا وكدّوا ليستريحوا وان كان المزح انما صار معيبا والهزل مذموما لان صاحبه لا يكون الا معرضا لمجاوزة القدر ومخاطرا بمودة الصديق فالجد داعية الى الافراط كما أن المزاح داعية الى مجاوزة القدر والتجاوز للحق قاطع بين القرينين فى جميع النوعين فقد ساواه المزح فيما

هوله وباينه فيما ليس له وان كان المزح قبيحا لانه يورث الجد فاقبح من المزح ماصير المزح قبيحا واذا صار المزح قبيحا لانه الذي يكون بعده الجد ولم يصر الجد قبيحا لان الذى بعده المزح كان الجد فى هذا الوزن اقبح من المزح وكان المزح على هذا التقدير احسن من الجد لان ما جعل الشيء قبيحا اقبح من الشيء كما ان ما جعل الشيء حسنا احسن من الشيء واما الذى عدل بينهما فانه زعم ان المزح فى موضعه كالجد فى موضعه كما ان المنع في حقه كالبذل في حقه ولكل شيء موضع وليس شيء يصلح في كل موضع وقد قسم الله الخيرة على المعدلة وأجرى جميع الامور الى غاية المصلحة وقسط اجزاء المثوبة على العزيمة والرخصة وعلى الاعلان والتقية فامر بالمداراة كما امر بالمباداة وجوز المعاريض كما امر بالافصاح وسوغ فى المباح كما سدد في المفروض وجعل المباح جماما للقلوب وراحة للأبدان وعونا على معاودة الاعمال فصار الاطلاق كالحطة والصبر كالشكر وليس للانسان من الخيرة في الذكر شيء الا وله فى النسيان مثله ولا في الفطنة شيء الا وله في الغفلة

مثله ولا فى السرّاء شئ الا وله فى الضراء مثله ولولم يرزق الله العباد الا بالصواب محضا وبالصدق صرفا وبمرّ الحق صفحا لهلك العوامّ وانتقض أمر الخواصّ ولو ذكر الانسان كل ما أنسيه لشقي ولو جدّ فى كل شئ لانكب وقد يكون الذكر للهلكة سلما كما يكون النسيان للسلامة سبباً وسبيل المزاح والجدّ كسبيل المنع والبذل وعلى ذلك مجرى جميع القبض والبسط فهذا وما قبله جمل أقاويل القوم ونحن نعوذ بالله ان نجعل المزح في الجملة كالجدّ في الجملة بل نزعم ان بعض المزح خير من بعض الجدّ وعامة الجدّ خير من عامة المزح والحق ان ينضح عن بعض المزح ويحتج لجمهور الجدّ وكيف لنا بذم جميع المزح معما نحن ذاكرون قال الشاعر

وذو باطل ان شئت ألهاك باطله

وقال آخر

أخو الجد إن تجدد فما من وتيرة لديه وان يهزل يعللك باطله

وان كانوا قد تسموا بعابس وعباس وشتيم وكالح وقاطب وحرب ومرّة وصخر وحنظلة وحزين وحجر وقرد وخنزير

فقد تسموا بالضحاك والطبال وبسام وهزال ونشيط وقد مزح رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا يقال كان فيه مزاح وكذلك لا يقال مزّاح وكذلك الأئمة ومن هزل في بعض الحالات من اهل الحلم والوقار فاروى عنه صلى الله عليه وسلم قوله يا ابا عمير ما فعل النغير وقوله لا تدخل الجنة عجوز وقوله زوجك الذى في عينه بياض وقد كان على رضي الله عنه يمزح وقال عمر أنا اذا خلونا كنا كاحدكم وقد كان عمر عبوسا قطوبا وقد كان زياد مع بكاوحه وقطوبه يمازح اهله فى الخلاء كما يجد في الملأ وكان الحجاج مع عتوّه وطغيانه وتمرده وشدة سلطانه يمازح أزواجه ويرقص صبيانه وقال له قائل انما يمازح الامير أهله فقال والله ان تروني الا شيطاناً والله لربما أيتنى وانا أقبل رجل إحداهن فقد ذكرها خير العالمين وجلة من خيار المسلمين وجباراً عنيداً وكافراً لعيناً

وبعد فمن حرّم المزاح وهو شعبة من شعب السهولة وفرع من فروع الطلاقة وقد أتانا رسول الله صلى الله عليه وسلم بالحنيفية السمحة ولم يأتنا بالانقباض والقسوة وأمر بافشاء السلام وبالبشر عند التلاقى وأمر بالتوادد والتصافح والتهادى

قالوا وكان يضحك رسول الله تبسما وقالوا كان لا يستغرق ضحكا وقال رفقوا على صاحبكم وقال هذه أيام أكل وشرب وتململ وسمع جوارى تضرب الكبر عند عائشة فلم ينكر وضحك من قيافة مجزّز المدلجى ومن الاعرابى صاحب الدجال قداعتذرنا فى معصيتك والخلاف على محبتك مرة بالمزح ومرة بالنسيان ومرة بالاتكال على عفوك وعلى ما هوأولى بك على انى لم أرد بمزاحك الا ضحك سنك أنظر هل هرمت الا فى طاعتك وهل أخلقنى الا معاناة خدمتك وفى الجملة انا لو تعمدنا ثم أصررنا ثم انكرنا لكان فى فضلك مايتغمدنا وفي كرمك ما يوجب التغافل عنا فكيف وانما سهونا ثم تذكرنا ثم اعتذرنا ثم اطنبنا فان تقبل فحظك أصبت ولنفسك نظرت وان لم تقبل فاجهد جهدك ثم اجهد جهدك ولا ابقى الله عليك ان أبقيت ولاعفاعنك ان عفوت وأقول كما قال أخو بنى منقر

فما بقيا علىّ تركتمانى ولكن خفتما صرد النبال

والله لان رميتنى ببجيلة لارمينك بكنانة ولئن نهضت

بصالح بن على لانهضن باحمد بن خلف وباسماعيل بن على ولئن صلت علىّ بسليمان بن وهب لادمنك بالحسن بن وهب ولئن تهت علىّ بمنادمة جعفر الخياط لاتيهن عليك بجسة وهب الدلال وانا اريي لك ان تقبل العافية وترغب الي الله تعالى فى طول السلامة واحذر البغى فان مصرعه وخيم واتق الظلم فان مرعاه وبيل وايك ان تتعرض لجرير اذا هجا والفرزدق اذا فخر ولمرثمة اذا دبر ولقيس بن زهير اذا ماكر وللاغلب اذا كرّ ولطاهر اذا صال ومن عرف قدره عرف قدر خصمه ومن جهل قدر نفسه لم يعرف قدر غيره وقد رعيت لك حق نبيذك وحسن شرابك وان كان فوق العيوق ودونه بيض الانوق وحق توتيائك وان بعثت به ممزوجا فكيف لو بعثت به خالصا وعليك بالجادة فانه خير لك ودع البنيات فأنه امثل لك فانت والله ياأخى تعلم علم الاضطرار وعلم الاختيار وعلم الاخبار أنى أشد منك عقلا وأظهر منك حزما وألطف كيدا واكثر علما وأوزن حلما وأخف روحا وأكرم عينا وأقل غشا وأحسن قدّا وأبعد غورا وانصع طرفا وأكثر ملحا وانطق لسانا

وأحسن بيانا وأجهر جهارة واحسن اشارة وأنت رجل تشدو من العلم وتنفق من الاخبار وتموّه نفسك وتعزّ من قدرك وتهيأ بالثياب وتتنبل بالمراكب وتتحبب بحسن اللقاء ليس عندك الا ذلك فلم تزاحم البحار بالجداول والاجسام بالاعراض وما لا يتناهي بالجزء الذى لا يتجزأ فاما البادّ والقامة فمن يعدل بين القناة والكرة ومن يمثل بين النخلة والذكان وبين رحى الطحان وسيف يمان وانما يكون التمثيل بين أتمّ الخيرين وانقص الشرين وبين المتقاربين دون المتفاوتين فاما الخل والعسل والحصاة والجبل والسم والغذاء والفقر والغنى فهذا مالا يخطئ فيه الذهن ولا يكذب فيه الحس والخطأ ثلاث خطأ الحس وخطأ الوهم وخطأ الرأى كل ذلك سبيله التنبيه والتذكير والتقويم والتأنيب والعمد نوع واحد وسبله القمع والحصر والضرب والقتل واول ذلك ان يهجره صاحب الحكمة ولا يطمعه فى وعظ ولا مجالسة وقد رأيت من يعاند الحق اذا كانت المعرفة به استنباطا ولم أر من يعاند الحق اذا كانت المعرفة به عيانا وأنت لا ترضي بجحد العيان حتي تدعو اليه ولا ترضى بالدعاء اليه حتى

تعادى فيه ولا ترضي بالعداوة فيه حتي تكون لك فيه
الرئاسة ولا ترضى بالرئاسة دون السابقة ولا بالطارف دون التالد
ولا بالتالد دون الاعراق التي تسري والمواليد التى تمنى ولا
ترضى ان تكون اولا حتى تكون آخرا ولا بالمداراة دون
المباداه ولا بالجدال دون القتال وحتى ترى ان التقية حرام
وان التقصير كفر وحتى لو كنت أمام الرافضة لقتلت فى طرفة
ولو قتلت في طرفة لهلكت الامة لانك رجل لا عقب لك
والامامة اليوم لا تصلح الا فى الاخوة ولو صلحت في الاخوة
كانت تصلح في ابن العم ثم أنها دنت من الارحام بعد ذلك
فصارت لا تصلح الا فى الولد وفى هذا القياس أنها بعد
أعوام لا تصلح الا ببقاء الامام نفسه الى آخر الابد وهذا
هو علة المناسخة وأنت رافضىّ ولم يكن هذا عندك فاهدِ
لى الآن من خالص التوتياء كما أهديت لك باب التناسخ
وانت ترى القتل في حق المعاندة شهادة وترى ان مباينة
المنصفين فى تعظيم العنود سعادة وان الرئاسة فى دفع الحقائق
مرتبة وان الاقرار بما يظهر للعيون ضعة وان الشهرة بالمبالغة

رقعة اظهر النوم عندك حجة أرفعهم صوتا وأخلقهم للتوبة اصلبهم وجها وأحسنهم تقية أقلهم تخرجا واكثرهم عندك انصافا اشدهم شغباً تعسف المتهوّد وتكلف بالجموح وتصافي الوقاح والاديب عندك من يعيب أحاديث الجلساء واعترض على نوادر الاخوان وغمز في قفا النديم ونصب للعالم وانبض العاقل واستثقل الظريف وحسد على كل نعمة وانكر كل حقيقة جملت فداك انما أخرجك من شيء الى شيء وأورد عليك الباب بعد الباب لان من شأن الناس ملالة للكثير واستثقال الطويل وان كثرت محاسنه وجمت فوائده وانما أردت ان يكون استظرافك للتالى قبل ان ينقضى استظرافك للماضي لانك متي كنت للشيء منتظرا وله متوقعا كان أحظى لما يرد عليك واشهى لما يهدى اليك وكل منتظر معظم وكل مأمول مكرم وكل ذلك رغبة فى الفائدة وصبابة بالعلم وكلفا بالاقتباس وشحا على نصيبي منك وضنا بما أوتيه عندك ومداراة لطباعك واستزادة من نشاطك ولانك على كل حال بشر ولانك متناهى القوة مدبر خبرنى

كيف كانت خدائع المتنبيين ومخاريق الكذابين ممن قد كان ترشح للتنبؤ ومن لم يظهر دعوته ومن دعا واجتهد ومن أجيب ومن لم يجب وصف لي ابواب مصايدهم واجناس كيدهم وحيلهم ومن اعتمادهم على المواطأة وعن تقدمهم في الحمّى وعمن ذهب فى طريق التفهم وعن أصحاب الزجر والتنجيم وعن أصحاب الاسترحام وعن اظهار الزهد وتحريم الاستماع ومن وافق صورته وحاله بعض ما في البشارات المتقدمة وفي الكتب الصحيحة ومن اتفق له غير ذلك من الشبهة فقل فى شيث بن آدم وقل فى زرادشت وفى مانى وفى فولس وفيما ادعي لمرقس ومتى ولوقا ويوحنا

وخبرني عن الاسود العنسي ومسيلمة الحنفى وطليحة الاسدى و بنت عقفان وربعى وامية بن ابى الصلت وما قصة الطائرين الاخضرين وما كان شأن الرماح وخبرني عن سلامة ابن جندل وما قال الهند فى نزول البدّ وقصة بن ديصان وما قول عبدة الكيان وعباد قوة الهيولى وأصحاب البيضة ومن عبد النجوم وثبت لها الحس والعلم والنفع والضر ومن جعل كل داع

الى الله بالصواب والعدل وصلة الرحم ونفى الجهل نبيا ومن أنكر أصل النبوة البتة وما تقول فى حنظلة بن صفوان وخالد ابن سنان وقل في الذي اتاه الله آياته منها وهل يجوز ان يكفر نبي أو يشرك أو يضل بعد هدايته ويصير عدوّاً بعد ولايته ويدل الله على كذبه كما دل على صدقه وكيف صار النبى عندكم يعصى ولا يخطىء والامام لا يعصى ولا يخطيء وكيف ساغ ذلك فى جميع النبيين وأمكن في جميع المرسلين على كثرة عدد النبيين والمرسلين ولم يجز ذلك فى امام واحد مع قلة عدد الأئمة مذ كانوا وخبرنى لما انتصر النعمان ويزيد بن الحارث وتهوّد ذو النواس وتمجست ملوك سبأ وكيف صارت العرب فرقا بين محلّ ومحرّم واحمسىّ سوى تفرقهم فى الملل وكيف لم نر أمة قط دهريه وقد علمنا انه لايجوز ان يتنبأ دهري وكيف لم يتدهر ملك وكيف لم نجد قول الدهرية الا في الخاص والشاذ والرجل النادر ولم كان لجميع أهل الاديان مملكة وملوك الا الزنادقة ولم قتلهم جميع الأمم السالفة ولم قضيت بهذا وقد وأينا المصدقية والدينارية والتفزغزية فان قلت لأن من لم يكن

من دينه القتال والبأس من غريزته فهو مسلوب أومسترقّ
فما بال الروم تمنع ان تسترقّ وان تسلب وليس من دينهم
قتال ولا جدال ولا مكافأة ولادفع جعلت فداك أين كان
عبد الله بن هلال الحميرى صديق ابليس من كردباش الهندى
وأين كان يقع منهما صالح المديبرى وأين عبيد مجّ من البطيخى
وأين عبد الوارث من الهجيمي وأين كان أبو منصور فى المخاريق
من جرمى وأين يامونه من حسده وأين قشة اليهودى من
كشه وما فضل مابين الكهانة والشعبذه وما فضل ما بين
الحازي والعرّاف وأين كان عزى سلمة من سطيح الذئبي
وأين كان الابلق الاسدي من رياح بن كهيله وأين كان
سعد هذيمة من حليس الخطاط وحدثنى عن ساحرة حفصة
وساحرة عائشة أقتلتاهما باقرار منهما أم بمعرفة منهما بكيفية
السحر وحدثنى عن صاحب جندب بن زهير باقرار قتله أم عن
معرفة منه بمعنى السحر وهل ثبت جعلت فداك أن النبي صلى
الله عليه وسلم سحر في جف طلعة ووضع تحت راعوفة البئر أم لا
وخبرنى ما البحرباي وما البارباى وما الكروربات وما الخواتيم

وما المناديل والسعي والأمر الذي كان في خاتم سليمان وما السكينة التي كانت في التابوت فقد اختلف المفسرون فيها وزعموا أنها كانت رأس هرّ وما سفسف ياسينية وما القتل وما التوجيه وخبرني ما أويل الزمزمة وما فعل المال الذي من أخذ منه ندم ومن لم يأخذ منه ندم وخبرني قول الخليل في الوهم القديم وخبرني جعلت فداك عن قولك في الشعر الذي ننشده في المنام مما لم نسمع بأجود منه في اليقظة وعن الشعر الذي نخترعه عند مناقلة الكلام وموازنة الامور وحال النوم وحال الآفة والنقص وصاحبه مغمور أم شبيه بالمغمور ولا يجري عليه قلم ولا يلام ولا يشكر ولم صرنا نتذكر الشيء المهم فلا نقدر عليه حتى ندعه فيئسنا منه أجمع ما نكون أنفسا وأحسن ما نكون تذكرا ثم يعارضنا ويخطر على بالنا في حال سهر أو في حال نوم وأغنى ما نكون عنه وأقل ما نكون احتفالا به ولم صرنا ننسى من القصيدة بيتا أو آية من جميع السورة أو كلمة من جميع كلام الخطبة ولم صار البلغم بالباء أولى منه بالتاء ولم كانت المرأة السوداء بالجيم اولى منها بالحاء وكذلك القلب المانع من الحفظ وهل بد للحقيقة من

خصائص اسباب واعيان علل والا فقد يجوز ان تنسي هذه القصيدة بدل تلك ولم صار بعض الناس احفظ للنسب وبعضهم احفظ للاسناد وبعضهم احفظ للمعاني وبعضهم احفظ للالفاظ ولم صرنا ننسى السباحة وبالاكتساب عرفناها والعادة ان المكتسب قد ينسى ويجهل وان الضروريات لا تجهل وقل لي لم لم تضرب السامرى ولم لم تمضّ ماني و تمضه ولم لم تبزق فى وجه فرعون اما ان الطبيعة التي هيبتك من هشام ابن خلف بن قوالة الكنانيّ حين قال على رأس النعمان وأنت رجل يمان هى التى منعتك من ان تبزق في وجه فرعون وانت سمعته يقول ومارب العالمين ولم ازعم انك رجل يمان لولادة لك في قحطان كيف وانت اقدم من قحطان ومعد بن عدنان ومن القرون التى خبر الله عن كثرتها وعن آبائها واجدادها ولكنك منهم بالهوى والنصرة ولانهم كانوا لك احشاما وصنيعة وقل لما صار جميع الحيوان يسبح الا الانسان والقرد والعقرب والفرس الاعسر واى شيء عندك في آصف وفى سفر آدم وفي جراب موسي وفى درسب وفي شله وفى كتاب

الاسماء وفي قولهم دعا فلان باسم الله الاعظم وما تقول في ابن عقب وفي اشبح بن عمرو وفي شعيب وصالح وفي السفياني وفي الاصفر القحطاني وخبرني جعلت فداك مذكم صنعت حساب الهمرح ومن صاحب خطوط الهند واين كتب قوم صنعة السندهند والاركند وحساب كلا سفر ومذكم عمل باب الجامع ومذكم عمل الارتماطيقى ومن سمي الجبر بالجبر والجذر بالجذر والنشاذر بالبارود والاكدرية من اى شيء اشتقت وما تأويل الدحال وما تأويل الجمل ومن اول من عدّ الي عشرة وجعل العشرة منتهى وغاية ثم ضاعفها وجعل غايات الاعداد عشر العشرات وعشرات عشرات العشرات ابداً ثم كسر على العشرة مما دون اعدادها لان الاصابع عشرة وكيف لم يجعل الغاية ماله نصف وثلث وربع وسدس وثمن أم رأى ان التضعيف أبدا لايكون الا للعشرات فقد نجده فى عشر العشرات أم القول الادلّ الاشياء كلها عشرات ولست اعرف جعلت فداك قوله ان لانسان عشرة اشياء كما لم أعرف قول الفزارى ان العقل كرىّ وقد علمت ان القلب كرىّ وان

الرأس الذى جمع الحواس كرىّ فاما العلم والقول وما شبههما
فانا لانعرف هذه الامور الاعلى خلاف الاجرام الموصوله
والمقطوعه وقدشدوت من الموسيقى ولم ابلغ منه شهوتى فخبرني
اين كان اقليدس وميرسطوس من فيثاغورس واين تلامذتهما
من تلامذته وهلا قدمتم اقليدس مع صنعته البرابط والمعازف
واين ارشخانس من مورسطس واين ريوشت من فهلوذ ولم
قتله وهو فوقه في الاعطراب والصنعة وفى الرواية والرئاسة
ولم عفا سابور عن قتله بعد اقراره بقتله وبعد ان سحب الي
الفيلة وعزم على امضاء الحكم واين كانت هر وخرتنا من
الجرادتين وابوطيبة والرباب من السرادن والمهراس واين
حبابة وسلامة من صاحبتى يزيد واين عزة من جميلة الحدباء
واين حبيبة من الميلأ وخبرني عن غنا الركبانيه للمصطلق
اخذته منه الركبان ام للركبان وهل رجعه بخسر المصطلق زعمت
ان الاهزاج لليمن وان النصب للقينات فلمن السناد فخبرنى
اين كان ضبيس بن حرام من المصطلق بن سعيدة ولم جعل
المعلم النغم يعد لليوناني ست عشرة نغمة ألاانه لم يدرك

اكثر منها ام لانه ليس فى الحلقة الا ما ادرك ولم جعل الرغب للسوداء والحزن للبلغم والجرأة للصفرأ والسرور للدم ولم فسر الاوتار على ذلك فجعل الزير للصفراء والمثنى للدم والمثلث للبلغم والبم للسوداء وقال الزير لطيف نارى خفيف والمثنى هوائي بين طبيعة النار وهو دون النار فى الخفة وبين طبيعة الما وهوفوق الماء في الخفة والمثلث كالماء والبم كالارض وفى المثنى ضعف وزن الزير وفى البم ثلاثة أضعاف ولم زعم أن من اللحون ما يقلق ويفرق فان زيد فيه نقص وان قوي قتل وان فيها ماينير فان زيد فيه غشى فان قوى أجمد فان أجمد قتل فجعل لحنا مطلقا يقتل بالاذابة وجعل لحنا يقتل بالاجماد ولم وصف اللحون بالاجماد والاضاعة كما توصف السموم القاتله خبرنى عن صنعة البربط لملك أم لرفائيل أم لاقليدس وما تقول فى قولهم ان لمكا عمل العود على صورة فخذ اليه ساقها وقدمها واصبعها وانه جعل الصدر الفخذ والساق الابريق والقدم المشط والاصابع الملاوى والاوتار العصب والعروق جعلت فداك كيف حفظك لكتاب كاوريد وقد خبرني بعض

المتكلمين انه رأى بسيراف مجوسيا يحفظه وهو في ألف جلد بخط مقارب وكيف حفظك لكتاب الطرف وهل لقيت واضعه أيام أدخلك بلاد الروم نزول عطارد وخبرني عن اسرار الهند أ لرجل بعينه أم لشورى ولم زعموا ان العقوق يورث البرص وهذا مما يعرف في الطب ومن صاحب الشطرنج ومن صاحب كليلة ودمنه ومن واضع الكوكلة ومن طبع القلعة ولم صار الهندى والرومى لايحفلان بالسندى في حال الاسر ويرغبان عنه في حال القتل وقد اختلفوا علينا في النعال السنديه فزعم قوم أن صاحب كتاب الباه كان قصيراً منكراً وكان بالنساء مستهترا وانه احتال بها لجسمه حتي دخلها برجله ليكون ثخنها زائدا في طوله فلما طالت الايام ومضت الدهور ظن من لاعلم له انها اتخذت للزينة أو لضرب من المرفق وقال آخرون بل اتخذت للعقارب ليلا وللطين نهارا فلما طال عليها الدهر نسي السبب وذلك ان اكثر الرداغ لاتستغرق ثخنها وابرة العقرب لاتكاد تجاوزها وقال آخرون بل انما اخذتها ملوكها لمكان اصواتها وصريرها استئذانا على أزواجها وامهات اولادها وعلى

جميع محارمها لخالات تكنّ عليها وأمور تكنّ فيها فصار صريرها تدنؤاً واستئذانا وزعم اسماعيل بن على انك أنت الذي كنت امرت باتخاذها واشرت بصنعها وانك تكتم السر الذى فيها وانك الذى علمتهم مضع التانبول ودبغ تحمير الاسنان وتطييب النكهة وأكل السعد لما أنت أعلم به والتصندل لما لا يجوز المكاتبة وانك أول من اجتبى هناك واستاك وفرق شعره وعلم الخضاب أهله وكيف وقد زعمت أن الاحتباء انما صار فيهم وفى العرب لان نازلة العمد والصحارى وسكان الفيافي والبرارى وكل من ليس لشماله مرفقة ولا لظهره مسندة ولا لفخذه جنه لا بدان يشتكى ظهره اذا طال انتصابه وكثر جلوسه ومن احتاج احتال ومن استغنى تبلد فاخرجت لهم الحبكة للحبوة حتي قامت لهم مكان المتكأ والمسند فقد قال لك كسري فما بال الترك والخزر وجميع أهل الصحاري والعمد لا يعرفون الاحتباء والحاجة واحدة والعقول سليمة فلم أمسكت يومئذ عن الجواب الا انه استفهم استفهام الراد أو نفست به على من شهد ذلك المشهد وأنا جعلت

فذاك اعلم اني أسمع ولا اعقل كيفية السمع اعلم اني البصر ولا أعقل كيفية البصر ولا ادرى امعدن العقل والدماغ والقلب بابه وطريقه كما ان معدن اللون جميع النفس والعين بابه وطريقه ام معدن العقل القلب دون الدماغ أو لعلهما موصولان غير مقطوعين وقد اعتل قوم للدماغ بأن جميع الحواس في الرأس واعتل قوم بالحس وبما يجدون في قلوبهم من الرغب والاضطراب وغير ذلك فكيف القول فيه وعلام عزمت منه وكيف كان الناس يبتدى من جهة (بياض بالاصل) وان كان يعرف الله فكيف عرفه أباضطرار أم باكتساب وكيف جهل سليمان موضع ملكة سبا وهى ملكة وشأنها عظيم والجن لها مسخرة والطير لها برد والريح لها أداة وكيف جهل يوسف مكان أبيه وحاله في الحزن عليه حاله وهو ملك نبي وكيف جهل أبوه مكانه وهو نبى وليس انبه من نبى وملك هذا بالشام والآخر بمصر وما تقول فى أهل التيه وعن ترددهم أربعين عاما في مكان واحد وعقولهم معهم دائما يجولون ليقفوا على الطريق فكيف أضل الجميع الطريق مع ارتفاع الذكر وشدة الطلب وخبرنى عن كلام

عيسي فى بطن امه ثم في المهد وعن عقل يحيي فى حال الصبا أكانا في حالهما يتعلقان بما لا يعلمان أم ينطقان بما يعلمان وكيف علما أبتجربة واستنباط وعن تمام اداة وكمال آلة أم من طريق الالهام والاخراج من العادة وقد تعجب ناس من أطالتى ومن كثرة مسألتي وتعجبي من تعجبهم أشدّ والذى كان من أفكارهم أعظم ولو رغبوا فى العلم رغبتي ورأوا فيه مثل رأيي وكانوا قرأوا كتابي اليك في شبيبتي وأيام شباب رغبتى لا ستقلوا من ذلك ما استكثروا ولا استقصروا منه ما استطالوا فان أذنت لى أظهرته وان تجدّ على أعلنته وستقول ما دعاك الى التنويه بذكرى وتعريف الناس مكانى وقد تعرف حشمتى وانقباضي وتفردى واستيحاشى ولولا انك جعلت فداك مسؤول فى كل زمان والغاية فى كل دهر لما تفرد ذلك بهذا الكتاب ولما أطمعت نفسى في الجواب ولكنك قد كنت أذنت فى مثلها لهرمس ثم لافلاطون ثم لارسطاطالس ثم أجبت معبد الجهنى وغيلان الدمشقى وعمرو بن عبيد وواصل بن عطاء وابراهيم بن سيار وعلى بن خالد الاسوارى فتربية كفك

والناشئ تحت جناحك أحق بذلك واولى وقد كان يجب
ان تكون على ذلك أحرص وبه أعنى وخبرني عن المرأى كيف
صارت ترى الوجوه ويبصر فيها الخلق وكذلك كل أملس
صقيل وصاف ساكن كالسيف والوذيلة والقوارير والماء الراكد
حتى الحبر البراق والحدقة السوداء اذا كان الناظر فى الحدقة أبيض
والحدقة المعزبة اذا كان الناظر فيها اسود وكيف صار الماء الجارى
النار المتلهبة والشمس ذات الشعاع لا تقبل الصورة ولا يثبت
فيها الخلق وعن قول من زعم انه ليس في القمر محق ثابت ولا
كمد جامد ولا سواد واكد وانما ذلك شي رآه الناس فيه اذا
كان أملس مقيلا بمقابلة الارض وما فيها كما يرى من قابل الحدقة
صورة الانسان وليس هناك صورة وإنما هو شيء يوجد عند
المقابلة ولم صار بعض المرائي يرى الوجه والقفا ويرى الرأس
منكسا ولم كنت لا تجد كتاب الستور والمطارح فيها ابدا الا
مقلوبا وما تلك الصورة الثابتة في المرآة اعرض ام جوهر ام
شئ وحقيقة ام تخييل والذى ترى أهو وجهك اوغير وجهك
فان كان عرضاً فما الذي ولده وما الذى أوجبه والوجه لم يماسه

ولم يعمل فيه وهل أبطلت تلك الصورة المرئية صورة مكانها في المرآة ولم وأنت لست تراها في نفس صفيحة المرآة ولم كأنك تراها في هواء خلف جوفها وهل أبطل ذلك اللون الذي هو في مثال لونك لون المرآة فان لم يكن أبطله فهناك اذا صورتان في جسم واحد أولونان في جوهر واحد وان كان قد أبطل لون الحديد فكيف أبطله من غير أن يكون عمل فيه وكيف يعمل فيه وحيزه غير حيزه وهو لا يماس ولا متصل ولا مصادم وسواء ذكرنا صفيحة الحديد ام ما خلفها من الهواء وماقدامها من الفرجة كل ذلك جسم ذو لون فان اعتللت بالشعاع الفاصل والشعاع يخالف في الحس كذلك الحساس وكذلك المحسوس وكيف نرى المخالف وكيف والشعاع لون وبياض والنفس الحساسة لا تدرك بشئ من الحواس وما الفرق بين الاسعنان والاحلالان وعن قول مابين السمون والحفرة وخبرني عنه القرسطون كيف اخرج احد راسيه ثلاثمائة رطل زاد ذلك او نقص ووزن جميعه ثلاثون رطلا زاد ذلك او نقص وما تقول في

الصدى وما تقول في القوس وما تقول في طريقة الحمرة وفي طريقة الخضرة وكيف اختلفتا والهواء واحد ومايقابلهما واحد وهل ذلك اللون حقيقة ام تخييل وخبرني عن لون ذنب الطاؤوس ماهو انقول بانه لا حقيقه له وانما يتلون بقدر المقابلة أم تقول أن هناك لونا بعينه والباقى تخييل وماتقول فى عسّ الماء كيف اشتد صوته بلا باب والصوت لابد له من هواء واذا اشتد فلابد له من باب وماتقول فى خضرة السماء أهو خضر جلدها كما تقول ام ذلك لحر الهواء كما يقول خصمنا وهل تزعم ان الافلاك ذات لون فان كان لها لون فقد احتملت جميع الاشكال وهذا خلاف مايقولون وان لم تكن ذات لون فالسماء اذا غير الفلك فهذا هذا ونقول أيضا ان كنا لانرى القرى المستطيلة والبنيان المختلفة من البعد الامستديرة فلعل الشمس مصلبة والكواكب مربعه وماتقول فى المد والجزر أمن ملك يضع رجلا ويرفع رجلا فان كان كذلك فلعل مدبر الفلك ملك ولعل صوت الرعد صوت زجر ملك فندع الفلسفه ونأخذ بقول الجماعة أم نزعم ان المد والجزر من نفس

الجواذب اذا جذب واذا رفع وماتقول في قواعد من زعم ان القمر مائي واشبه الكواكب بطبيعة الارض فانما يكون المد والجزر على مقادير جذبه للماء وأرساله له ذلك معروف في منازله ومجاريه يعرف ذلك أهل الجزر والمد وخبرني كيف صارت القيافة في النسبة وفى الماء والجو والتربة وليست القيافة تكلفا وصنعة ولا عرفت بالاستنباط والفكرة فتكون لمن تعلم دون من لم يتعلم تجدها فى بنى مدلج ثم فى خاصّ من خثعم وكذلك خزاعة وهى في قريش اقل وهى فى بنى اسد اقل وليس هؤلاء لأب ولا يجمعهم بلد وليس فيما بين البلدين قافه وهل فيهم على هذه الصفة وكيف لم يختلفوا فى لغتهم فينطق بعضهم بالزنجية وبعضهم بالنبطية وبعضهم بالفارسية فان قلت فارقهم للعجم والشاعر والبكىّ والعريف فان الشاعر وان كان القريض عليه اسهل وهو على القوافى اقدر فانه يتروى الشعر ويصنعه ويتفرد له ويفكر فيه وكيف صار به انسانا يعيش حيث تعيش النار ويموت حيث تموت النار يصاب علم ذلك في الجباب وفي الغيران ولم صار يبصر النجوم من قعر البئر العميقة

ولا يبصرها ابدا الا وهو خالص الظلمة وخبرني عن الظلام أجسم وجود عند زوال الضوء ام تأويل قولنا ظلام انما نريد به دفع الضوء فان كان الظلام معنى أفتراه انقمع في الارض وكمن عند انبساط الضوء وردع الشعاع أم الارض قرص للظلام كما ان عين الشمس قرص للضياء وان كان قائما فكيف لم يتنافيا وان كانا قد تداخلا فكيف لم نجدهما على منظر الاعين ولو كان الامر كذلك فنحن اذا لم نر ضياء قط ولا ظلاما وخبرني جعلت فداك لم زعمت ان الحس للعصب وان الشر عصب جامد وان الرئة لا حس لها وان من أدام سف اللبان لم يؤلمه المؤلم والذه الملذ وكيف يلد من لا يألم ولو جاز ذلك لعرف الصواب من يجهل الخطأ ولعرف الصدق من يجهل الكذب هذا ما عندي من العلم البراني وانت ابصر بالعلم الجواني وزعم بعض تلاميذك انك تعلم لم كان الفرس لا طحال له ولم صار البعير لا مرارة له ولم كانت السمكة لا رئة لها ولم كانت حيتان البحر لا ألسنة لها ولم حاضت الارنب ولم اجترت ولم كان قضيبه من عظام ولم كانت علائق اجواف السبع افرادا الا الكلية وزعمت انك

تعرف في الخفاش سبعين اعجوبة ونحن لا نعرف الا سبعا وانك تعرف في الذهب مائة خصلة كريمة والناس لا يعرفون الا عشرا وانك تعرف في البعير الف داء ودواء والاعراب لا تدعى الا مائة داء غير دواء جعلت فداك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كاد البيان يكون سحرا وقال ان من البيان لسحرا وقال عمر بن عبد العزيز وسمع رجلا يتكلم بكلام بليغ عجيب لطيف رقيق هذا والله السحر الحلال وقال الناس لذي المكر والخلابة ولذى الرفق والتأنى وماهو الا ساحر وقد سحر بكلامه وقالوا للمرأة ساحرة المنين وقد ذكر الله السحرة فى القرآن واخبر عن هاروت وماروت وخبر عن النفاثات في العقد وقال الناس لهو أقبح من السحر اذا أرادوا تمس المعنى المشبه به والمعنى المحمول عليه السحر نفسه وما الذى اشتقت منه هذه الامثال ولم نجدهم ابقاك الله سموا كهان العرب سحرة ولا العراف ساحرا ولا الحازى ولا صاحب الطرف ولا من كان معه رئي ولا من ادعى تابعة من لدن عمرو ابن لحى الي يومنا هذا وما قاله اذا عقد عقدا اودفن صورة

بالاندلس لرجل بفرغانة واذا صور شمعين وخرطهما على مثال انسانين ودفنهما وخبأ مكانهما وقابل بين وجوههما تقابلا بالمودة وان دابر بينهما تدابرا بالمودة وقل لى من يتولي هذا له ومن يقوم له به ومن يتطوع به عليه فان قلت الشيطان فلم فعل هذا واول شيطنته ان لا يطيع من هو فوقه فان قلت بالعزائم الى لا ترد والايمان التي لا تدفع فقد عزم الله عليه بالقرآن والتوراة والانجيل فلم يجده يحفل بذلك ولا يرى له قدرا ولا يكترث له ولا براه سببا واخبرني ما هذه العزيمة التي اذا سمع بها اجاب واذا ظهرت له أناب ومن أين عرف الانسان هذه العزيمة ومن أين وقع عليها ومن له بها أهو صنعها أم صنعت له فان يكن الشيطان هو الذى ابتدأه بها فقد ابتدأه اذا بتعريف العزيمة قبل أن يعزم عليه وقد تطوّع باعظم الأمور فما الذى يحوجه الي العزيمة فى اصغرها فقل فى هذا وان زعمت ان العازم صاحبه دون الشيطان والعازم مسلم وان كان مسلما ولذلك أجاب العزيمة وعظم الاخلاف فلم يخبل له الاصحاء ويقتل المرضى ولم يحبب ويبغض ولم يفرق بين المرء وأهله وبين الولد البار وأمه ولم

يجتلب العقائف الى الزناة ولمَ يعذب ويقتل وهذا متناقض ولمَ قيل « أعق من ضبّ » و « ابرّ من هرّة » وهما جميعاً يأكلان أولادهما ولمَ عال الذئب أولاد الضبع اذا قتلت أو ماتت حتى قال الشاعر « حتى عال اوس عيالها » وهل يفهم الضبع قولهم « خامري أم عامر » وما بال الظبي لا يدخل كناسه الا مستديراً وهل يجوز قولهم في نوم الذئب قال الشاعر

ينام بأحدى مقلتيه ويتقي بأخرى المنايا فهو يقظان نائم

ولم نامت الارنب مفتوحة العينين ولم أكل الذئب صاحبه اذا رأي به دماً وما بال الجن والنيران وما بال الشياطين والورشان وهل في الجنات جنان وما معنى قولهم كأنما كسر فجبر وما تأويل الحديث يوءخذ للجمآء من القرنا ويكلف ان يعقد بين شعيرتين ولمزعمت أن عمر نوح أطول الأعمار مع قولك ان جميع الانبيآء قد حذرت من الدجال والدجال انسان وقد سألتك وان كنت أعلم انك لا تحسن من هذا قليلا ولا كثيرا فان اردت ان تعرف حق هذه المسائل وباطنها وما فيها خرافة

ومافيها محال وما فيها صحيح ومافيها فاسد فالزم نفسك قراءة كتبي ولزوم بابي وابتد بنفي التشبيه والقول بالنداء واستبدل بالرفض الاعتزال وان انكر منعك بعد التمكين والبذل وبعد التقريع والشحذ فلا يبعد الله الا من ظلم وقد بقيت لي عليك مسائل وهي خاتمة الكتاب ومنتهاد أيها أحسن قول بقراط مفسرا العمر قصير والزمان جديد والتجربة خطأ والقفأ عسر أم قول أفلاطون مجملا لولا أن في قولي أني لا أعلم تثبيتا لاني أعلم لقلت اني لا أعلم أم تواضع أرشيخامس حيث يقول ليس معي من فضيلة العلوم الا علمي بانى لست بعالم فانظر فى آخر هؤلاء ثم انظر في قول ديمقراط عالم معاند خير من عالم منصف جاهل وفي قول تلميذه الاول الجاهل لا يكون منصفا والعالم لا يكون معاندا وقد يكون العالم معاندا ثم انظر فى قول دسموس لولا العمل لم يطلب علم ولولا العلم لم يطلب عمل ولأن أدع الحق جهلا به أحب الي من أن أدعه زهدا فيه وان كان الجهل لا يكون الا من نقصان من آلة الحس فأن المعاندة لمن زيادة آلة الشر ولأن اترك جميع الخير أحب الي من أن أفعل بعض الشر ثم انظر في قول تومقراط

العلم روح والعمل بدن والعلم اصل والعمل فرع والعلم والدوالعمل مولود وكان العمل لمكان العلم ولم يكن العلم لمكان العمل فالسبب الجالب خير من السبب المجلوب والغالب خير من المغلوب وانظر في قول فليمون العلم كان من العمل والعمل غاية والعلم رائد والعمل مرسل ثم انظر في قول ارسطاطاليس ليس طلبي العلم طمعا في بلوغ قاصيته ولا سبيلا الي غايته ولكن التماس مالا يسع جهله ولا يحسن بالعاقل خلافه ثم انظر في قوله قد عرفت الارثماطيقي واتقنت معرفة الموسيقي وعرفت المساحة فلم يبق الا علم الألاهي ومعرفة الاصطلاح ثم انظر في قول مورسطوس عرفت اكثر المقصور واقل بالوقف عليه من المبسوط وقليل الكثير كثير وكثير القليل قليل وبدأت بما حاشا له ان يكون مبسوطا ومرغوبا به ان يكون مقصورا وهو معرفة الواحد الذي منه كان اول الاعداد واليه يكون معادي ثم انظر في قول افليمون ما اقل منفعة كثير المعرفة مع شرف الطبيعة واقتصاد الشهوة ثم انظر في قول تلميذه الاول غلبة الطبيعة تبطل المعرفة وتنسي العاقبة ولو كانت المعرفة ثابتة لكانت

هى الغالبة ثم انظر في قول تلميذه الثاني ليس بعلم ما كان مغلوبا وليس بفهم ما كان مغمورا بل لا يكون مغلوبا الا بالنقص والخبال ولا مغمورا الا بالغلبة والانتقاض ثم انظر فى قول ماسرجس من قصر عن طلب العلم لرغبة أو رهبة أو منافسة أو شهوة كان حظه من الرغبة وحظه من الرهبة على مقدار حق الرهبة ومن طلب العلم لكرم العلم والتمسه لفضل الاستبانة كانت حظه منه بقدر كرمه وقدره وانتفاعه به على حسب استحقاقه فى نفسه وقد اختلفوا فى العقل باكثر من اختلافهم فى العلم فنعنى من ذكره لك غموضه عليك واستتاره عنك وعلمت اني لا اقدر ان اصوره لك دون دهر طويل ولا اضمك معناه دون تربيب كثير هذا الكتاب مرضٍ مع ما فيه من الاخلاط من اشكال واضداد ومن الجد والهزل ومن الحطة والاطلاق ومن الاستئناف والقطع ومن التحفظ والتضييع ومن التثبيت والتهاون اذا اريد به تقريع معجب او تكشيف مموه او امتحان مشكل او تخجيل وقاح او قمع ممار او ممازحة ظريف أو مساءلة عالم أو مدارسة حافظ أو تنبيه على الطريق

أو تجديد للذهن والعقل حفظك الله اطول رقدة من العين واحوج الي الشحذ من السيف وأفقر الى التعهد واسرع الى التغير وداؤه أقتل وأطباؤه أقل وعلاجه أعضل فمن تداركه قبل التفاقم أدرك اكثر حاجته ومن رامه بعد التفاقم لم يدرك شيئا من حاجته ومن اكثر أسباب العلم كثرة الخواطر ثم معرفة وجوه المطالب ثم فى الخواطر الغث والسمين والفاسد والصحيح والمسرع اليك والبطىء عنك والدقيق الذى لا يكاد يفهم والجليل الذى لا يلقى الفهم ثم هن على طبقاتها في التقديم والتأخير وعلى منازلها في التباين والتمييز والمطالب طرق ولدرك الحقائق أبواب فمن أخطأ فانتظر كان اسواءحالا ممن لم يخطأها ولم ينتظر وعلى قدر صحة العقل يصح الخاطر وعلى قدر التفرع يكون البينة هذه جماع هذا الباب وجمهوره واقسامه وجملته ثم من انفع اسبابه الحفظ لما قد حصل والتقييد لماورد والانتظارلما يرد والا تخلي نفسك من الفكرة الا بقدر جمام الطبيعة وان تعلم ان مكان الدرس من الحفظ كمكان الحفظ من العلم وان تعرف فضل ما بين

طلب العلم للمناسبة والشهوة وبين طلبه للرغبة والرهبة وان تعلم ان العلم لا يجود بمكنونه ولا يسمح بسرّه ومخزونه الا لمن رغب فيه لكرم عنصره وفضله لحقيقة جوهره ورفعه عن التكسب وصانه عن التبذل وانه لا يعطيك خالص الحكمة حتي تعطيه خالص المحبة وكان يقال من شاب شيب له وخصلة ينبغى ان تعرفها وتصطنعها وتتذكرها وتقف عندها وهى ابتدئ من العلوم بالمهم وان تختار من صنوفه ما أنت له أنشط والطبيعة به أعنى فان القبول على قدر النشاط والبلوغ فيه على قدر العناية ثم من خلص اسبابه تخليص اخلاطه وتمييز اجناسه والمعرفة باقداره حتى تعطي كل معنى حقه من التقريب والرفعة وقسطه من الابعاد والضعة وحتي لا تتشاغل الا بالسمين الثمين وبالخطير النفيس ولا تبقى الا الغث الخسيس والحقير السخيف فانك متى كنت كذلك لم تميز فضل ما بين النظرين ولا صرف ما بين النعتين والكيس كل الكيس والحذق كل الحذق الا تعجل ولا تبطئ وان تعلم ان السرعة غير العجلة وان تعلم ان الأناة خلاف الابطاء وان تكون على يقين من درك

الحق اذا وفيته بشرط وعلى ثقة من صواب النظر اذا اعطيته حقه هذه جمله العذر في هـذه الرسالة وجملة الحجة فيما قدمنا من الافتنان والاطالة فان كنا اصبنا فالصواب اردنا والى غايته اجرينا وان كنا قد اخطأنا فما ذلك عن فساد من الضمير ولا عن قلة احتفال بالتقصير ولعل طبيعة خانت اولعلّ علة حدثت أولعل سهوا اعترض اولعل شغلا منع خفض عليك ايها السامع فان الخطأ كثير غامر ومستول غالب والصواب قليل خاص ومقموع مستخف فوجه اللائمة الى اهلها والزمها من هو أحق بها فانهم كثير ومكانهم مشهور كنت أتعجب من كل فعل خرج من العادة فلما خرجت الافعال باسرها من العادة صارت باسرها عجبا فبدخول كلها في باب التعجب خرجت باجمعها من باب العجب وقد ذكر الله تعالى التعجب في كتابه وقد تعجب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى زمانه وفي الناس يومئذ الناقص والوافر والمشوب والخالص والمستقيم والمعوج قال الله تبارك وتعالى لنبيه وان تعجب فعجب قولهم وقال بل عجبت ويسخرون واعلم انه لم يبق من المتعجب الفاتك الا نصيب اللسان ولا من

المستمع الناتك الاحصة السمع واما القلوب فخاويه قاسية وراكدة جامده لاتسمع داعيا ولاتجيب سائلا قد أغفلها سوء العادة واستولى عليها سلطان السكرة فدع عنك مالست منه فان فيما اورده عليك شغلا شاغلا وهما داخلا اعلم ان الله تعالي قد مسخ الدنيا بحذافيرها وسلخها من جميع معانيها ولو مسخها كما مسخ بعض المشركين قردة و كما مسخ بعض الامم خنازير لكان قد بقى بعض أمورها وحبس عليها بعض اعراضها كبقية ما مع القرد في ظاهره من شبه الآدمي وبقية ما مع الخنزير في باطنه من شبه البشري لكنه جل ذكره مسخ الدنيا مسخاً متتبعا ومستقصي مستفرغا فبين حاليهما جميع التضاد وبين معنييهما غاية الخلاف فالصواب اليوم غريب وصاحبه مجهول فالعجب ممن يصيب وهو مغمور ويقول وهو ممنوع فان صرت عونا عليه مع الزمان قتلته وان امسكت عنه فقد رفدته ولسنا نريد منك النصرة ولا المعونة ولا التأنيس ولا التعزية وكيف اطلب منك ما قد انقطع سببه واجتث اصله وقد كان يقال من طلب عيبا وجده هذا في الدهر الصالح دون الفاسد فان

انصفت فقد أعنت وان جرت فلم تعدُ ما عليه الزمان وهب الله لنا ولكم الانصاف واعاذنا واياكم من الظلم والحمد لله كما هو اهله وهو حسبنا ونعم الوكيل والمعين

أهدى الينا هذا الكتاب حضرة الفاضل محمد افندى رشدي من اهل الخبرة بمصر القاهرة وقد نسخه حضرته من احدي مكاتب اكسفورد اثناء اقامته بها عام ١٩٠٥ فله منا جزيل الشكر وجميل الثناء